

**الاتجاه الصوفي**  
**عند الإمام صدر الشريعة الحبوبي (ت ٧٤٧هـ)**  
**«دراسة تحليلية»**

**إعداد**  
**د/ محمد سالم الشحات متولي**  
مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة بالزقازيق  
جامعة الأزهر

من ٣٣٣ إلى ٤١٠



**The Sufi Trend of Imam Sadr al-Shari'a al-  
(Mahbubi (d. 747 AH  
'An Analytical Study'**

**Prepared by  
Dr. Mohamed Salem El-Shahat Metwally  
Lecturer of Doctrine and Philosophy at the  
Faculty of Fundamentals of Religion and  
Da'wah in Zagazig**

۳۳۶



## الاتجاه الصوفي عند الإمام صدر الشريعة المحبوبي (ت ٧٤٧هـ) «دراسة تحليلية»

محمد سالم الشحات متولي

قسم العقيدة والفلسفة، كلية: أصول الدين والدعوة، بالزقازيق، جامعة الأزهر ،  
مصر .

البريد الإلكتروني: mohammed metwalY.28@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يتناول هذا البحث الاتجاه الصوفي لدى الإمام صدر الشريعة المحبوبي (ت ٧٤٧هـ)، أحد أعلام الفكر الإسلامي، الجامعين بين العمق العقلي والذوق الصوفي، والمحققين للتصوف بالموازنة بين الشريعة والحقيقة، وبالمزج الدقيق بين التجربة الروحية والضبط الشرعي.

وتظهر خصوصية تصوف المحبوبي ومنهجه من خلال تحليل رؤيته للتجلي، ومقامات السلوك، وتفسيره الدقيق للمصطلحات الصوفية، وطريقته في تربية النفس، وحرصه على تخلية الطريق الصوفي من الانحرافات، عبر تقديم نسق يربط بين علم الكلام والتصوف والأخلاق ربطاً متيناً.

وتتجلى أهمية البحث في المكانة العلمية الراقية للمحبوبي، والحاجة المعاصرة لاستحضار النماذج الصوفية التي تقدم حلولاً لأزمات الإنسان الروحية، وتُسهم في بناء الفرد والمجتمع على أسس خلقية راسخة.

الكلمات المفتاحية: الصوفية ؛ صدر الشريعة ؛ التجلي ؛ العروج ؛ الروح ؛ النفس .

---

**The Sufi Trend of Imam Sadr al-Shari'a al-Mahbubi (d. 747AH)  
'An Analytical Study'**

**Mohamed Salem Al-Shahat Metwally**

**Department Of Theology And Philosophy, College  
Fundamentals Of Religion And Da'wah, Zagazig, Al-Azhar  
University, Egypt.**

**Email [mohammed.metwaly.28@azhar.edu.eg](mailto:mohammed.metwaly.28@azhar.edu.eg)**

**Research summary:**

**This research addresses the Sufi inclination of Imam Sadru al-Shari'ah al-Mahbubi (d. 747 AH), one of the prominent figures in Islamic thought, who combines deep intellect and Sufi sentiment, and who validates Sufism by balancing between Shari'ah and truth, and through a precise blending of spiritual experience and legal discipline.**

**The uniqueness of the beloved's Sufism and methodology is evident through analyzing his vision of manifestation, the stations of behavior, his precise interpretation of Sufi terminology, his approach to self-training, and his commitment to purging the Sufi path of deviations by presenting a system that firmly links theology, Sufism, and ethics.**

**The importance of the research is manifested in the high scientific status of the beloved one and the contemporary need to invoke the Sufi models that provide solutions to the spiritual crises of humanity, and contribute to building the individual and society on solid moral foundations.**

**Keywords: Sufism ; Sadr al-Shari'a ; The Manifestation ; Ascension ; Spirit ; Soul.**

## المقدمة

الحمد لله الذي أشرق بنور معرفته قلوب العارفين، وهدى السالكين إلى سُبُل طاعته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، إمام أهل التزكية والسلوك، وعلى آلِه وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد...

فالتصوف الإسلامي يعد ركناً مهماً في البناء الروحي والفكري للحضارة الإسلامية، لا سيما التصوف الذي يمزج بين النظر العقلي والتجربة الروحية، ويجمع بين دقة الأصوليين، ومنهج المتكلمين، وبصيرة الصوفية المحققين، يأتي منضبطاً بالشرع والعقل معاً.

ويُعد الإمام صدر الشريعة عبيد الله بن مسعود المحبوبي أحد النماذج الفريدة على ذلك؛ حيث برع في العلوم العقلية والنقلية، وترك بصمة فكرية ومنهجية متميزة، لا سيما في ربطه بين علم الكلام ومباحث التصوف والأخلاق، وعلى الرغم من أنه كان متبحراً في العلوم العقلية والنقلية، لم يغفل عن البعد الروحي في تربية النفس والسلوك إلى الله، فقدم نسقاً من التصوف السُني يجمع بين الشريعة والبصيرة، ويُفرق بين التجليات الإلهية الحقيقية، والانحرافات الصوفية.

فصدر الشريعة المحبوبي يعد أنموذجاً فريداً في الجمع بين العقل الفقهي الأصولي، والذوق الصوفي العرفاني، فقد ارتقى في مشروعه الفكري إلى إعادة بناء العلوم العقلية وفق ترتيب جديد يجمع بين الشكل المنهجي الدقيق، والمضمون الروحي العميق.

نسج صدر الشريعة المحبوبي تصوره حول التجلي ليس بوصفه كشفاً فجائياً أو حالاً عابراً، بل كمسار ذوقي تدريجي متكامل، يبدأ من تطهير الظاهر والباطن عبر التوبة والإنابة، ويرقى إلى مراتب الإحسان والمشاهدة والفناء، دون أن يُفضي إلى الاتحاد أو الحلول.

وتتجلى الدقة المنهجية عند صدر الشريعة في حديثه عن تربية النفس والسلوك إلى الله، من خلال الوقوف على مراتب النفس، والعناية الإلهية في ترقيتها، والتفرقة بين الجذب والسلوك والعروج، وأنواع السالكين، وما يرتبط بالسير الصوفي من لطائف وأنوار، ومخاطر وخواطر

ومن هنا تبرز أهمية دراسة منهجه في تصنيف مباحث التصوف والأخلاق، وقد جاء هذا البحث ليسلط الضوء على ذلك، وليكشف عن أثر صدر الشريعة المحبوبي في الجمع بين العقل والروح في إطار متكامل؛ ولذا وُسم بعنوان: «الاتجاه الصوفي عند الإمام صدر الشريعة المحبوبي (ت ٧٤٧هـ) دراسة تحليلية».

أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وتتمثل فيما يلي:

- ١- المكانة العلمية الكبيرة لصدر الشريعة المحبوبي في الفكر الإسلامي، حيث جمع بين التبحر في العلوم العقلية والنقلية، والانتماء العميق إلى التصوف المعتدل.
  - ٢- الرغبة في إبراز الجوانب العقلية والمنهجية في التصوف الإسلامي، من خلال دراسة الجانب الصوفي عند صدر الشريعة المحبوبي.
  - ٣- المساهمة في إحياء التراث الإسلامي الروحي من خلال تحليل الاتجاهات التربوية التي تسهم في بناء الفرد والمجتمع على أسس من السمو الأخلاقي والمعرفة الربانية.
  - ٤- التعرف على الجمع الدقيق بين الفقه والتصوف في شخصية صدر الشريعة، والذي جعله أنموذجاً للعالم المتصوف، ومكّنه من فهم كيفية الموازنة بين الشريعة والحقيقة.
  - ٥- الحاجة إلى دراسة نماذج صوفية متعددة؛ لتزكية النفس والسلوك في ظل ما يعانيه الإنسان المعاصر من اضطرابات روحية وفراغٍ داخلي.
- الدراسات السابقة:

لم أجد - فيما أعلم - دراسة تعرضت بطريق مباشر لـ: «الاتجاه الصوفي عند الإمام صدر الشريعة المحبوبي (ت ٧٤٧هـ) دراسة تحليلية»، ومع ذلك توجد بعض الأبحاث ذات الصلة الفرعية، كالدراسات التي تبحث في جوانب أخرى غير الاتجاه الصوفي في فكر صدر الشريعة المحبوبي، والموضوعات التي تناقش الاتجاهات الصوفية في الفقه الإسلامي بشكل عام، ومن هذه الدراسات ما يلي:-

- ١- انفرادات الإمام صدر الشريعة في كتابه التوضيح في حل غوامض التنقيح، د. إدريس عبد الله محمد الحنفي، بحث محكم ومنشور بمجلة كلية



العلوم الإسلامية - جامعة الموصل بالعراق، المجلد السابع، العدد: الرابع عشر (١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م).

وقد قام الباحث بعرض انفرادات الإمام صدر الشريعة المحبوبي في هذا الكتاب مع شرح مختصر لكل انفراد منها، ومقارنتها بما ورد عن غيره من العلماء في شأنها، وذكر الإشكالات التي وردت عليها.

٢- جدل الحقيقة والشريعة في الفكر الصوفي، د. طارق زيناوي، بحث منشور بمجلة الإحياء، المجلد: الثامن عشر، العدد: الثاني والعشرون (٢٠١٩م). تعرضت هذه الدراسة لبحث ثنائية الحقيقة والشريعة، والتي ترتب عليها خصومة دارت بين الفقهاء والصوفية لعدة قرون، وتطبيق هذه الثنائية على بعض المسائل الصوفية كالولاية والنبوة والظاهر والباطن وغير ذلك.

٣- الاتجاه الصوفي عند الفقهاء المتقدمين والمعاصرين، د. محمد إسماعيل مشعل، بحث محكم ومنشور بمجلة كلية الشريعة والقانون - جامعة الأزهر، بدمهور، المجلد: الثاني، العدد: الخامس والعشرون (١٤٣١هـ = ٢٠١٠م) تناول فيه الباحث دراسة الاتجاه الصوفي لدى الفقهاء المتقدمين ممن شهدوا للتصوف، ومزجوا بينه وبين الفقه، كما تناول الباحث تلقي علماء الأزهر الشريف للتصوف وتأبيدهم للصوفية الحققة.

والمدقق في هذه الأبحاث يجد أنها ركزت على جوانب أخرى تتصل بالفقه الإسلامي، أما البحث الذي نحن بصددده فهو محاولة لإظهار الفكر الصوفي عند صدر الشريعة المحبوبي، ومنهجه في رسم الطريق إلى الله تعالى، وهذا ما لم تتعرض له هذه الدراسات.

منهج البحث:

إن دراسة هذا الموضوع تحتاج إلى المنهج التحليلي: وذلك لتحليل النصوص الصوفية التي كتبها صدر الشريعة المحبوبي، وتفكيك المفاهيم الصوفية التي وردت عنه، لبيان معانيها ومصادرها، والمنهج التاريخي: لدراسة الخلفية الفكرية والاجتماعية لصدر الشريعة المحبوبي، وتأثير البيئة الثقافية والعلمية على اتجاهه الصوفي، والمنهج المقارن: وذلك لمقارنة فكر المحبوبي الصوفي بفكر غيره من المتصوفة، وإظهار خصوصية تصوفه، كما يحتاج البحث

للمنهج النقدي أحياناً، وذلك لمعالجة بعض الأفكار التي تحتاج إلى نقد في ضوء منهج أهل السنة والجماعة.

تساؤلات البحث:

إن السؤال الرئيس الذي تدور أفكار البحث حول الإجابة عنه: ما هي معالم الاتجاه الصوفي عند صدر الشريعة المحبوبي، وما أبرز تجلياته في مؤلفاته؟ وبجانب هذا السؤال توجد بعض الأسئلة الفرعية التي تنبثق عنه، والتي يتعرض البحث للإجابة عنها بالتفصيل، ومنها ما يلي:-

- ما هي البيئة العلمية المتميزة التي نشأ فيها صدر الشريعة المحبوبي؟
- وما هي الأسس التي قام عليها البناء الروحي عنده في صياغة تجربته الصوفية؟
- ما هي أهم المفاهيم والمصطلحات الصوفية الواردة في كتاباته، وكيف وظّفها؟
- وهل توجد معاندة بين التصوف وعلم الكلام عند صدر الشريعة المحبوبي؟
- وبم يتميز الاتجاه الصوفي عند صدر الشريعة عن غيره؟
- وما هي الغاية التي يسعى صدر الشريعة المحبوبي في الوصول إليها من خلال تجربته الصوفية؟
- وما هو تفصيل صدر الشريعة المحبوبي لشعب الإيمان؟
- وكيف تتدرج شعب الإيمان من التصديق إلى تجلي الذات عند صدر الشريعة المحبوبي؟
- وكيف استنبط من فحوى الأحاديث النبوية منهجاً تربوياً؟
- وما هو منهج صدر الشريعة المحبوبي في ربط العلاقة بين الإنسان وسلوكياته مع ربه والناس والأشياء؟
- وما منهجه في تربية النفس والسلوك إلى الله؟
- وكيف فسّر المحبوبي المقامات والأحوال؟
- وما هي مخاطر الطريق الصوفي؟
- وما فائدة الشيخ في حياة السالك؟
- وما وصية المحبوبي التي يجب اتباعها في زماننا؟

### خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن يكون في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وفهرسين.

المقدمة اشتملت على: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، والتساؤلات التي يفرضها، وخطة البحث.

التمهيد: نبذة مختصرة عن صدر الشريعة المحبوبي، ومنهجه في تصنيف مباحث التصوف والأخلاق.

المبحث الأول: الأسس النظرية التي قام عليها البناء الروحي عند صدر الشريعة المحبوبي.

المبحث الثاني: رؤية صدر الشريعة المحبوبي للتجلي بالعروج على مقامات العارفين.

المبحث الثالث: تربية النفس والسلوك إلى الله عند صدر الشريعة المحبوبي وأما الخاتمة: فقد اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

وختم البحث بفهرس للمصادر والمراجع، ثم فهرس للموضوعات.

## التمهيد:

نبذة مختصرة عن صدر الشريعة المحبوبي، ومنهجه في تصنيف مباحث التصوف والأخلاق.

أولاً: نبذة مختصرة عن صدر الشريعة المحبوبي:

إن صدر الشريعة المحبوبي من أبرز علماء الماتريدية في القرن الثامن الهجري، وهو واحد من عمالقة التأليف في علم أصول الفقه والمنطق والكلام، فقد نشأ في بيئة علمية متميزة، وتلقى علومه على يد كبار علماء عصره، مما أهله ليتبوأ مكانة مرموقة بين العلماء، فجمع بين دقة الأصوليين ومنهج المتكلمين، وأسهم بحظ وافر في تطوير المنهج الجدلي التحليلي، لا سيما في العلوم العقلية.

والم تأمل في سيرته ومسيرته العلمية يمكنه الوقوف على هذه المعالم بسهولة ويسر، وفيما يلي عرض مختصر لجانب من سيرته.

اسمه ونسبه: هو عبيد الله بن مسعود بن تاج الشريعة محمود بن صدر الشريعة الأكبر أحمد ابن جمال الدين أبي المكارم عبيد الله بن إبراهيم بن أحمد بن عبد الملك بن غمير بن عبد العزيز بن محمد بن جعفر بن خلف بن هارون بن محمد بن محمد بن محبوب بن الوليد بن عبادة بن الصامت رضى الله عنه الأنصاري المحبوبي<sup>١</sup>.

والجدير بالذكر أن «برهان الشريعة محمود» وهو جد صدر الشريعة لأمه كان شقيقاً لـ «تاج الشريعة»، والذي كان جد «صدر الشريعة» لأبيه<sup>٢</sup>، ومن ثم يتفق

---

١ ينظر: تاج التراجم، لأبي الفداء زين الدين قاسم بن قُطْلُوبُغا الحنفي (ت ٨٧٩ هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف: ص ٢٠٣، ط ١، دار القلم، سوريا (١٤١٣ هـ = ١٩٩٢ م)، وسلم الوصول إلى طبقات الفحول، لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني (ت ١٠٦٧ هـ) تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط: ج ٢ ص ٣٢٤، الناشر: مكتبة إرسيا، تركيا (٢٠١٠ م)، والفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤ هـ)، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي: ص ١١٠، ط ١، مطبعة السعادة، مصر (١٣٢٤ هـ).

٢ ينظر: الفوائد البهية، لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤ هـ): ص ١١٠.

نسب هذين الجدّين فيما بعد ذلك في هذه السلالة الشريفة في العلم والفضل والنسب ليصل إلى الصحابي الجليل سيدنا عبادة بن الصامت - رضي الله عنه - .  
وقد جمع أبو الحسنات اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ) في سطور قليلة ما يصلح أن يكون مختصرًا شافيًا للدلالة على هذا العالم النحرير من حيث النسب الشريف، والمشايخ العظام، وغزارة التأليف، وتنوع التصنيف، واتصال السند، فقال عن صدر الشريعة: «هو الإمام المتفق عليه، والعلامة المختلف إليه، حافظ قوانين الشريعة، ملخص مشكلات الأصل والفرع، شيخ الفروع والأصول، عالم المعقول والمنقول، فقيه، أصولي، خلافي، جدلي، محدث، مفسر، نحوي، لغوي، أديب، نظار، متكلم، منطقي، عظيم القدر، جليل المحل، غدّي بالعلم والأدب، وورث المجد عن أب فاب، أخذ العلم عن جده الإمام تاج الشريعة محمود بن صدر الشريعة، عن أبيه صدر الشريعة، عن أبيه جمال الدين المحبوبي، عن الشيخ الإمام المفتي إمام زاده، عن عماد الدين، عن أبيه شمس الأئمة الزرنجري، عن السرخسي، عن الحلواني، عن أبي علي النسفي، عن محمد بن الفضل، عن السبزموني، عن أبي عبد الله بن أبي حفص الكبير، عن أبيه، عن محمد»<sup>١</sup>.

والحق أن صدر الشريعة تربى في بيئة علمية متميزة ظهرت آثارها فيما خطّه بيمينه من مؤلفات قيمة، فكان بحق ذا علم غزير، وفضل كبير، ويشعر القارئ في نتاجه العلمي خاصة في مجال المنطق والكلام والتصوف أنه أمام عالم كبير، وفكر راقٍ، يتميز بالاتساق العقلي، والدقة في التعبير، وعمق المعنى، والإيمان القائم على النظر الصحيح.

#### لمحة مختصرة عن نتاجه العلمي:

ترك صدر الشريعة المحبوبي نتاجًا علميًا غنيًا ومؤثرًا؛ خصوصًا في مجالي أصول الفقه، والفقه الحنفي، ولم تمنعه هويته الفقهية عن الإبداع الكلامي والمنطقي، بل أنه كان ضليعًا في علم الكلام والمنطق والتصوف، وفيما يلي عرض لبعض مصنفاته على سبيل المثال لا الحصر:

تنقيح الأصول: وهذا الكتاب فيه تحقيقات بديعة، وتدقيقات غامضة منيعة قلما توجد في الكتب سلك فيه مسلك الضبط والإيجاز<sup>١</sup>.

التوضيح في حل غوامض التنقيح: وهو شرح لطيف لتنقيح الأصول كتب فيه عبارة المتن، وقد اشتمل على تعريفات، وترتيب لم يسبق لمثله من قبل<sup>٢</sup>، ومما يُميّز هذا الكتاب أنه لم يقتصر على علم أصول الفقه، بل جمع بين علم الأصول، والمنطق، والكلام.

شرح كتاب الوقاية: وكتاب «الوقاية» من تصانيف جده تاج الشريعة، وهو أحسن شروحه، ثم اختصر «الوقاية» وسماه «النقاية»<sup>٣</sup>، وهو من الكتب المعتمدة في الفقه الحنفي.

تعديل العلوم: وهذا الكتاب يشتمل على ثلاثة أقسام: قسم في المنطق، ويسمى «تعديل الميزان»، وقسم في الكلام، ويسمى «تعديل الكلام»، وقسم في علم الهيئة، ويسمى «تعديل هيئة الأفلاك»، ثم قام صدر الشريعة بشرح هذا الكتاب، وسماه: «شرح تعديل العلوم».

وقد أثنى طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) على هذا الكتاب في أكثر من موضع، ومن ذلك ما جاء في معرض مدحه لصدر الشريعة المحبوبي؛ حيث قال: «كتب كتاباً سمّاه (تعديل العلوم)، بدأ فيه بالمنطق، ثمّ بالكلام، ثم أقسام

١ ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية، لمحيي الدين أبو محمد عبد القادر أبي الوفاء القرشي الحنفي (ت ٧٧٥هـ) تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو: ج ٤ ص ٣٧٠، ط ٢، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة (١٤١٣هـ = ١٩٩٣م)، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة مصطفى عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ)، تحقيق: إكمال الدين إحسان أوغلي، وبيشار عواد معروف وآخرين: ج ٣ ص ٣٦، ٣٧، ط ١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، إنجلترا (١٤٤٣هـ = ٢٠٢١م).

٢ ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة مصطفى عبد الله القسطنطيني (ت ١٠٦٧هـ): ج ٣ ص ٣٧.

٣ ينظر: الفوائد البهية، لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ): ص ١٠٩، والأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي (ت ١٣٩٦هـ): ج ٤ ص ١٩٧، ١٩٨، ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت (٢٠٠٢م).

الحكمة على التمام، ولعمري لقد أتى فيه بمباحث عجز عن حلّها الأوائل والأواخر، تحقيقاً لما قيل: كم ترك الأول للآخر؟<sup>١</sup>.

والجدير بالذكر أن صدر الشريعة المحبوبي قد وضع في هذا الكتاب المباحث الخاصة بالتصوف والأخلاق في نهاية «تعديل الكلام»، وسيأتي تفصيل ذلك في النقطة القادمة بإذن الله تعالى عند الحديث عن طريقة تصنيف صدر الشريعة المحبوبي لمباحث التصوف والأخلاق.

ومن الكتب التي نسبت إليه أيضاً كتاب: الشروط<sup>٢</sup>: وهو في القياس والقضايا. وشرح الفصول الخمسون: وهو شرح لكتاب «الفصول الخمسون» في النحو ليحيى بن عبد المعطي بن عبد النور الزواوي (ت ٦٢٨هـ).

والوشاح: في المعاني والبيان<sup>٣</sup>.

وكتاب: أربعون حديثاً وشروحها.

وفتاوى ما وراء النهر<sup>٤</sup>.

مكانته العلمية:

إن صدر الشريعة المحبوبي كان من العلماء الأفاضل الذين برعوا في كثير من العلوم والفنون، وشهد له بذلك أكابر العلماء والمحققين، ومن ذلك ما جاء على لسان السعد التفتازاني (ت ٧٩٢هـ) حينما وصفه بأنه: «ميزان المعقول،

١ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): ج ٢ ص ١٦٢، ط ١، دار الكتب العلمية - بيروت (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م)، ويراجع: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ): ج ١ ص ٤١٩.

٢ ينظر: الفوائد البهية، لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ): ص ١١٠.

٣ ينظر: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ): ج ٢ ص ١٢٧، ٢٠١١.

٤ ينظر: كتاب شرح تعديل العلوم، لصدر الشريعة المحبوبي، تحقيق د. محمود آي، ومصطفى برص بوغا: ص ٣١، ط ١، رئاسة الشؤون الدينية، تركيا (٢٠٠٧م). ولمزيد من التفصيل حول مؤلفات صدر الشريعة المحبوبي يراجع هذا الكتاب القسم الخاص بالتحقيق من ص ٢٦ إلى ص ٤٨، وأيضاً: شرح الوقاية، لصدر الشريعة المحبوبي، تحقيق: صلاح محمد أبو الحاج، ج ١ ص ٤٤ - ٥٤، ط ١، دار الوراق، الأردن (٢٠٠٦م).

والمنقول، ومُنْفَح أَغْصَانُ الْفُرُوعِ وَالْأُصُولِ صدر الشريعة والإسلام، أعلى الله درجته في دار السلام»<sup>١</sup>.

كما وصفه الملا علي القاري (ت ١٠١٤هـ) بـ «عمدة العلماء، وزبدة الفضلاء، الجامع بين معرفة الفروع والأصول، والحاوي لطريق المنقول والمعقول»<sup>٢</sup>.  
وقد توفي - رحمه الله - سنة سبع وأربعين وسبعمائة (٧٤٧هـ)، ومرقده، ومرقد والديه، وأولاده، وأجداد والديه كلها في شرع آباد ببخارى - رحمهم الله -<sup>٣</sup>.

ثانياً: منهجه في تصنيف مباحث التصوف والأخلاق.

قام صدر الشريعة المحبوبي بإدراج مباحث التصوف والأخلاق ضمن المباحث الكلامية بطريقة لم تكن معهودة عند غيره من المتكلمين، ووسم بهذه المباحث كتابه: «شرح تعديل العلوم»، وفي هذا إشارة إلى عدة أمور تتمثل فيما يلي: -  
١- حينما قام صدر الشريعة المحبوبي بتأليف القسم الثاني من كتابه «شرح تعديل العلوم»، كان هدفه الأصلي وضع طريقة جديدة في تصنيف المسائل الكلامية، وقد أجاد في هذا الأمر؛ حيث إنه قدم لونا جديداً من النسق الكلامي سواء في الشكل أو المضمون.

أما الشكل فقد رتب مسائل علم الكلام على وفق ترتيب السبع المثاني، وقد أفصح عن سرّ هذا الترتيب ومناسبته فقال: «وها أنا أرتب هذا العلم على ترتيب فاتحة الكتاب؛ إذ هو مشتمل على الحكمة، وفصل الخطاب، أي: ترتيب

---

١ شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: زكريا عميرات: ج ١، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).

٢ فتح باب العناية بشرح النقاية، لنور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: محمد نزار تميم، هيثم نزار تميم: ج ١، ط ١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت (١٤١٨هـ = ١٩٩٧م).

٣ ينظر: الفوائد البهية، لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ): ص ١١٠.



الفاتحة مشتمل على الحكمة النظرية، وهي قول تعالى: ﴿الْحَمْدُ﴾ إلى قوله: ﴿مَلِكٍ يَوْمَ الدِّينِ﴾<sup>١</sup>، ثم على الحكمة العملية<sup>٢</sup>. وإذا كان السبب في صياغته علم الكلام على ترتيب سورة الفاتحة هو اشتماله على الحكمة النظرية والعملية، فإن إدراجها لمباحث التصوف والأخلاق في نهاية كتابه: «شرح تعديل العلوم» عقيب علم الكلام مباشرة يمثل أحد الجوانب العملية، التي تتم دراستها من بداية قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾<sup>٣</sup>.

ومما يؤيد ذلك قوله: «ولما كان هذا العلم - علم الكلام - باحثاً عن الموجودات وماهيتها وجب أن يبحث أولاً عن الموجود والماهية، صاعداً ذرى المباحث الإلهية، نازلاً إلى مصنوعاته من الجواهر والأعراض التي خلقها؛ لكونه رب العالمين، ذاكرًا أشياء من تمام نعمه التي أعدها ليوم الدين، مبيناً أن طريق الوصول إلى تلك النعم هو العبادة التي رأسها الإيمان والإسلام بقلب سليم، وهو لا يتيسر إلا بطلب المعونة، والهداية إلى الصراط المستقيم، أعني: صراط الذين سبق لهم منه الإنعام، وهم أهل الرسالة، والنبوة، والخلافة، والولاية عليهم الصلاة، والتحية، والسلام»<sup>٤</sup>.

هذا عن الشكل، وأما في مضمون مسائل هذا الكتاب، فإنه يكفينا شهادة طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ) فيما يتعلق بمسائل كتاب «شرح تعديل العلوم»؛ حيث إن صدر الشريعة المحبوبي كان مبتكراً بحق، ورائداً في هذا الاتجاه العقلي لا سيما في المنطق والكلام.

يقول طاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): «أبدع فيها، بحيث أورد تحقیقات عجز عنها الأوائل، سيما المنطق والكلام، ويشهد بما ذكرناه من طالع ذلك الكتاب»<sup>٥</sup>.

١ شرح تعديل العلوم، لصدر الشريعة المحبوبي (تعديل الميزان)، تحقيق: أكرم محمد إسماعيل: ص ٢٨٣، ط ١، دار النور المبين للنشر والتوزيع - الأردن (٢٠٢٢م).

٢ المصدر السابق: ص ٢٨٣، ٢٨٤.

٣ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): ج ٢ ص ١٧٠.

٢- قَصَدَ صدر الشريعة المحبوبي وضع هذا الجزء المتعلق بالتصوف والأخلاق في نهاية البناء الكلامي؛ إذ أن هذا أصل من أصول مشروعه العلمي الذي قدمه لتعديل العلوم، وإعادة تنظيمها وترتيبها وتبويبها، غير أنه لم يُنجز من هذا المشروع سوى تعديل المنطق، والكلام، والهيئة.

يقول صدر الشريعة: «إني قصدت أن أُعَدِّل الميزان تعديلاً، وأُفَصِّل جواهره تفصيلاً، وأَجْعَلَ ناشئة لِيَالِي الفكر أشدَّ وطناً وأَقْوَمَ قِيلاً، ثم أُرْتَقِيَ إلى ذُرَى مباحث علم الكلام بعد أن أَحْكَمَ مَبَانِيهِ غَايَةَ الإِحْكَامِ، وأَخْتَرَعَ في هذا العلم براهين بديعة، وَأَبْنَى فِيهِ قِصُوراً رفيعة، وَخُصَّوْنَا مَنِيعة، ثُمَّ أُنْزَلَ إلى سائر العلوم العقلية والنقلية، وأُورِدَ فِيهَا مَا حَضَرَ فِي ذَهْنِي مما سمعتُ وما لم أسمع، بل تفرد به فكري»<sup>١</sup>.

ثم قام برسم معالم الطريق إلى الله تعالى من خلال الترتيبي في مقامات العارفين، فقال «ثم نختم الكتاب بقوله: آمين، فهو تحقيق التثبت على الصراط المستقيم، وهو صراط الله تعالى، أي: طريق السير، والمصير إليه، وذلك بالعروج على مقامات العارفين»<sup>٢</sup>.

العلاقة بين علمي الكلام والتصوف.

لا ريب أن الاستنباط العقلي الدقيق يتداخل بصورة وثيقة مع التجربة الوجدانية في التصوف، ولا يمكن الفصل بينهما إلا بضرب من التكلف، ويشهد لذلك أن مؤلفات أكابر الصوفية أنفسهم قد مزجوا فيها بين التصوف والكلام.

ومن ناحية أخرى: «فقد عالج كثير من الصوفية صراحة بعض المسائل الكلامية ذات الأهمية الكبيرة من منظورهم الصوفي، وكان من وراء ذلك أيضاً - وإن جزئياً - باعث دفاعي، هو الرد على خصوم التصوف الطاعنين في بعض المعتقدات الصوفية المألوفة»<sup>٣</sup>.

١ شرح تعديل العلوم (تعديل الميزان)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٣٥٠.

٢ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٠.

٣ الفكر الكلامي الصوفي، لمارتن نوين، ضمن كتاب: المرجع في تاريخ علم الكلام، تحرير: زابينة شميته، ترجمة: د. أسامه شفيع السيد، تقديم: د. حسن الشافعي: ص ٥٧٣، ط ١، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت (٢٠١٨م).

كما أن أحد رجال الفكر الأشعري المتقدمين، وهو أبو عبد الله ابن الخفيف (ت ٣٧١هـ) تلميذ الشيخ أبي الحسن الأشعري (ت ٣٣٣هـ) تحدث في أحد كتبه الكلامية، وهو كتاب: «المعتقد»<sup>١</sup> عن أصول التصوف، ثم خصَّص الفصل الأخير منه للحديث عن أصول التصوف.

وهذا ما قرره الأستاذ الدكتور حسن الشافعي حينما قال: «كان الرأي السائد أن احتواء كتب علم الكلام على ملحقات أو خاتمة في التصوف، إنما هو من عمل المتأخرين من المتكلمين، وبخاصة في مصر وغرب أفريقيا، كاللغاني (ت ١٠٤١هـ) والدردير (ت ١٢٠١هـ) والسنوسي (ت ١٨٩٥هـ) منذ غلبة التصوف على هذه المناطق ومؤسساتها التعليمية، كالأزهر والقرويين والزيتونة، ولكن هذه المبادرة التي تمثلها العقيدة الحنيفية في القرن الرابع الهجري جديرة كل الجدارة بإعادة النظر في هذا الرأي في ضوء علم التصوف»<sup>٢</sup>.

فتلك بصفة وضيئة من البصمات المضيئة لأعلام الفكر الكلامي بصفة عامة، وصدر الشريعة المحبوبي بصفة خاصة؛ تنبيهًا منهم على أهمية مراعاة البعد الروحي في بناء الإنسان الكامل؛ إذ التصوف ينطلق من عقيدة التوحيد بدءًا وانتهاءً، وهو ما يصل إليه السالك بعد كثير من النظر العقلي والتأمل القلبي، فجاءت هذه المؤلفات الكلامية المتضمنة للمباحث الصوفية محاولة منهم للربط بين الاتجاه العقلي والذوق الروحي، وهذا ما يعبر عن التكامل المنهجي في بناء الفكر الكلامي.

ولكن السؤال المهم هنا: ما هو موقف صدر الشريعة المحبوبي من التصوف؟ ولنترك صدر الشريعة يُجيب عن هذا السؤال بنفسه فهو أحد رواد الصوفية المحققين؛ حيث ينتقد التصوف غير المضبوط بالضوابط الشرعية والعقلية،

١ ينظر: ملحق (٣) معتقد ابن خفيف، ضمن كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، للشيخ أبي الحسن الأشعري، تحقيق وتحشية: د. حسن الشافعي، تقديم: د. أحمد الطيب: من ص ٣١٥ إلى ص ٣٢٦، ط ٢، مجلس حكماء المسلمين، الإمارات العربية المتحدة (١٤٤٣هـ = ٢٠٢٢م).

٢ المصدر السابق: ص ٣٢٣.

ويُفرق بين تصوف العلماء وبين تصوف الغلاة، فهو ينتمي إلى مدرسة التصوف السُّني المحقِّق، التي تأخذ التصوف كطريق للمعرفة الروحية والتزكية، لا كخروج عن العقيدة أو العقل.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «وأما ما يقول الصوفية، فما يقوله حشويتهم، فلا اعتبار به، وما يقوله المحققون منهم نشرحه إن وافق التوفيق. اعلم: أن حشويتهم على فرق، فمنهم من يقول: كل شيء في الوجود هو الله تعالى، ولا يدري القائل ماذا يقول، ومنهم من يقول: الواجب بالذات هو الوجود المطلق المقارن بجميع الموجودات، وإنما الامتياز بالخصوصيات، وهي الأمور العارضة، ومنهم من يقول: غير هذا، لكن لا ضرورة في تفصيل الباطل، ونقل ما هو محض الهذيان، وأما ما يقوله المحققون، فسيأتي تفسيره في مقامات العارفين في بحث التجلي»<sup>١</sup>.

فهذا النص يعكس موقفاً نقدياً متوازناً من صدر الشريعة المحبوبي للتصوف؛ حيث يُميز بين حشوية الصوفية، والمحققين منهم: فلا يرفض التصوف جُملةً، بل يُميز بين قول أهل الغلو الذين يتكلمون بغير علم أو تحقيق، ويخلطون بين الذوق والكلام الباطل، وبين المحققين من الصوفية والذين وافق قولهم التوفيق الشرعي والعقلي، ويستحق كلامهم أن يُفسَّر ويُنَى عليه؛ لأنه قائم على التحقيق والضبط العلمي.

إن التصوف السُّني هو أشرف العلوم عند صدر الشريعة المحبوبي، وقد نبّه على ذلك حيث قال «العلم الذي هو أشرف العلوم وأخصها، وهو علم تجلي الذات والصفات»<sup>٢</sup>.

وسيظهر لنا الموقف التفصيلي لصدر الشريعة المحبوبي من خلال عرض رؤيته الصوفية في البحث، والتي تعد بحق مثالاً للجمع بين التجربة الروحية والتحقيق العلمي الدقيق.

١ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٥٢٥، ٥٢٦.

٢ المصدر السابق: ص ٥٨٦.

## المبحث الأول

### الأسس النظرية التي قام عليها البناء الروحي

#### عند صدر الشريعة المحبوبي:

أولاً: أسس طريق العروج على مقامات العارفين عند صدر الشريعة: أسس صدر الشريعة المحبوبي منهجه في العروج على مقامات العارفين على أمرين هما: مراتب عروج الروح، ثم مراتب النفس، وقبل ذلك قدّم بُرهاناً نظرياً على معنى النفس، والقلب، والروح ونحوهما، كالصدر والسر؛ إذ هذه المصطلحات هي أساس البناء الروحي التي بنى عليها تجربته الصوفية العرفانية، حيث وظّفها لتفسير التزكية والسلوك الروحي، حيث مثلت كل مرتبة منها مستوى أعمق في إدراك الحقيقة الروحية. فأما النفس فقد حصر صدر الشريعة المحبوبي معناها في الحيوانية؛ حيث قال «فالنفس هي: النفس الحيوانية»<sup>١</sup>.

فصدر الشريعة قد انطلق من المنطلق الصوفي الذي يرى أن النفس هي موضع نظر الخلق، وهي التي تحمل الصفات المذمومة، وهذا يتضح من خلال ما ذكره في تعريف النفس.

فقد ذهب أبوطالب المكي (٣٨٦هـ) إلى هذا المعنى فقال: «فجملة وصف النفس معنيان: الطيش والشره، فالطيش من الجهل، والشره من الحرص، وهما فطرة النفس»<sup>٢</sup>.

ويؤكد القشيري (ت ٤٦٥هـ) على ذلك المعنى فالنفس عند الصوفية: «ما كان معلولاً من أوصاف العبد ومذموماً من أخلاقه وأفعاله»<sup>٣</sup>.

١ المصدر السابق: ص ٦٠٥.

٢ قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لأبي طالب المكي محمد بن علي بن عطية (٣٨٦هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي: ج ١ ص ١٥٢، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).

٣ الرسالة القشيرية في علم التصوف، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف: ج ١ ص ٢٠٣، دار المعارف، القاهرة (بدون تاريخ)، ويراجع: لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، لعبد الرزاق القاشاني (ت ٧٣٦هـ)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح: ج ٢ ص ٣٨٩، ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (٢٠٠٨م).

وإذا كانت النفس بما تشتمل عليه من الحيوانية موضع الصفات السلبية والرزائل من الأخلاق عند الصوفية؛ فقد تحجب بين العبد وربّه، فإن الروح هي الجوهر العلوي النوراني المرتبط بالملكوت الأعلى؛ ولذا نجد صدر الشريعة المحبوبي يقول عن الروح: «والروح هي: الجوهر العلوي، وله أسماء بحسب مراتبه، ففي مرتبة كماله في القوة النظرية والعملية يسمى عقلاً، أو كماله فيهما يسمى عقل»<sup>١</sup>.

وقد اصطلح السادة الصوفية على أن الروح هي: «اللطيفة الإنسانية المسماة عند الحكماء بالنفس الناطقة لا الروح الحيواني الذي هو جسم بخاري ينشأ من غليان دم القلب؛ فإن اللطيفة الإنسانية جوهر مجرد عن المادة»<sup>٢</sup>.

فالصوفية يرون أن روح العبد جعلها الله تعالى محل الأحوال اللطيفة والأخلاق المحمودّة، فكما يصح أن يكون البصر محلّ الرؤية، والأذن محلّ السمع، وفي جملة الأمر يكون البصير والسامع هو الإنسان، فكذلك الروح هي محل الأوصاف المحمودّة، والنفس هي محل الأوصاف المذمومة<sup>٣</sup>.

وعندما نتأمل في المصادر الصوفية نجد أنهم قد اصطالحوا على أن النفس والعقل والروح والسّر شيء واحد، لكن الاختلاف فيما بينهم بحسب الأمر الذي يدركونه.

يقول ابن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ): «اعلم أن النفس والعقل والروح والسّر شيء واحد، لكن تختلف التسامي باختلاف المدارك، فما كان من مدارك الشهوات فمدركه النفس، وما كان من مدارك الأحكام الشرعية فمدركه العقل، وما كان

١ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٠٥.

٢ لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، لعبد الرازق القاشاني (ت ٧٣٦هـ): ج ١ ص ٤٩٧ - ٤٩٩، ويراجع: معجم ألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوي: ص ١٥٧، ط ١، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٨٧م).

٣ لطائف الإشارات = تفسير القشيري، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني: ج ٢ ص ٣٦٧، ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (بدون تاريخ).

من مدارك التجليات والواردات فمدركه الروح، وما كان من مدارك التحقيقات والتمكّنات فمدركه السرّ، والمحل واحد»<sup>١</sup>.

والحق أنه من العسير فهم ما تحتوي عليه البنية الداخلية للإنسان من النفس والعقل والروح والسرّ ككيانات منفصلة مستقلة، بل هي عبارة عن مستويات إدراكية مختلفة لحقيقة واحدة.

رؤية صدر الشريعة المحبوبي لكمال الروح:

ثم يفصل صدر الشريعة الحديث في الروح؛ فيذكر أنها تشتمل على قوتين: إحداها نظرية والأخرى عملية، وكمال هاتين القوتين هو المكوّن الرئيس للعقل الراقى.

يقول صدر الشريعة: «أن للروح العلوي قوتين: إحداها: نظرية، وهي قوة إدراك المعقولات سواء لا يتعلق به العمل، نحو: الله واحد، أو يتعلق به العمل، نحو: العدل حسن، والظلم قبيح، والثانية: عملية وهي: قوة تسلطها على البدن للحركة إلى ما هو خير، وعما هو شر، فإذا كمل في كلتا القوتين يسمى الروح عقلاً، أو كماله في القوتين يسمى عقلاً، فإن العقل لفظ مشترك بينهما»<sup>٢</sup>.

إن صدر الشريعة يبرهن على المعنى الدقيق لعمل العقل؛ إذ أنه ليس مجرد التفكير، بل هو بناء مكوّن من الفكر السليم ممثلاً في القوة النظرية، والسلوك المستقيم ممثلاً في القوة العملية، وهذا هو جوهر الرؤية الإسلامية الصحيحة.

ولكن ما الذي يعنيه صدر الشريعة بكمال هاتين القوتين؟

إن الكمال الذي يرغب صدر الشريعة المحبوبي في الحصول عليه هو الذي يتخذ من التوسط والاعتدال طريقاً له، ويعمل على التوازن بين قوى النفس النظرية والعملية مع التحذير من الانزلاق نحو خطر الإفراط والتفريط.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «اعلم: أن التفريط في القوة النظرية، وهو الغباوة والحمق منقصة عظيمة، وكذا الإفراط، وهو: التوغل في الفكر حتى جاوز حده منقصة أيضاً، بل التوسط كمال، وذلك التوسط في أمرين: أحدهما:

١ إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ)، تقديم ومراجعة: محمد أحمد حسب الله: ص ٢٤، دار المعارف، القاهرة (١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م).

٢ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٠.

في نفس تلك القوة، فإنها يجب أن تكون في حد الاعتدال غير بليد، وأيضًا غير حديد غاية الحدة، فإن غاية الحدة يجعله كثير العثار جَمُوحًا، خارجًا عن سواء الطريق، شاربًا فيما ليس من شأنه، فإن للروح قوى أعلى من القوة النظرية، فالتوغل في الأدنى يوجب إهمال ما هو أعلى<sup>١</sup>.

فالتوسط وعدم الإسراف والمغالاة ومجاوزة الحد هو الركن الأصيل في البناء الروحي لدى صدر الشريعة المحبوبي، وهذا التوسط في القوة النظرية: إما في ذاتها ويكون من جانبين: الأول: يجب أن تكون معتدلة لا هزيلة ضعيفة عاجزة عن إدراك المعقولات، والثاني: يجب كبجها عن الإفراط في التحليل والاستنباط والتفكير؛ لأن صاحبها في ذلك الوقت يكون كثير العثار والوقوع في الزلل.

فهذه اللوحة تدل على البعد العقلي العميق، والبصيرة العلمية لدى صدر الشريعة؛ إذ أنه قبل الحديث عن البناء الروحي والأخلاقي يؤكد على ضرورة مراعاة حدود العقل وإمكاناته المعرفية التي لا بد وألا تتعدى حدود التوسط، وهذا الأمر تتجلى فيه معالم المنهج الماتريدي الذي ينطلق من العقل الوسطي دون شطط أو إسراف مع الأخذ في الاعتبار أن هذا العقل له طاقات وحدود يقف عندها، ولا يستطيع أن يتجاوزها، ولا شك أن هذا فيه صونٌ للعقل البشري عن الانحراف والزيغ والفرقة والخلاف.

ومن مقتضيات هذا التوسط عند صدر الشريعة المحبوبي عدم الجنوح في فهم ما لا يقدر العقل على الإحاطة بأسراره على حساب الجوانب الروحية والإيمانية، كأن يطمع العقل في الإحاطة بأسرار إنزال المتشابهات في الكتاب العزيز؛ إذ هي: «لابتلاء الراسخين في العلم بكبح عنان ذهنهم عن التفكير فيها، والوصول إلى ما يشتاقون إليه من العلم بالأسرار التي أودعها فيها، ولم يُظهر أحدًا من خلقه عليها»<sup>٢</sup>.

١ المصدر السابق: ص ٦٠٦.

٢ التوضيح في حل غوامض التنقيح، لصدر الشريعة المحبوبي ضمن كتاب التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢هـ): ج ١ ص ٩، مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر - مصر ١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م).



ثم إنه قد يحدث ابتلاء من نوع خاص يصيب الراسخين في العلم، يمنع عقولهم عن الاسترسال في النظر والطلب على الرغم من كفاءة قدراتهم العقلية ليحققوا العرفان الذوقي، ويفنى علمهم حتى يتلاشى في بحر الكمال الإلهي، وتنمحي آثاره

يقول صدر الشريعة: «ابتلي الراسخ بكبح عنان ذهنه عن التأمل والطلب، فإن رياضة البليد تكون بالعدو، ورياضة الجواد تكون بكبح العنان والمنع عن السير...، وهذا الابتلاء هو أن يُسَلَّم ذلك إلى الله تعالى، ويُفَوَّضه إليه، ويُلقَى نفسه في مدرجة العجز، والهوان، ويتلاشى علمه في علم الله، ولا يبقى له في بحر الفناء اسم، ولا رسم»<sup>١</sup>.

ولا يزال الحديث موصولاً عن التوسط عند صدر الشريعة؛ فيمتد ليشمل القسم الثاني من أقسام القوة النظرية، وهو التوسط: «في محل الفكر أي: المعلومات، ويجب ألا يعمل الفكر في غير محله، وهو إما أدنى مما هو محل الفكر، أو أعلى من ذلك، فالأول: كالتوغل في الفكر بالبديهيات، كبطلان التسلسل<sup>٢</sup>، فإنه بديهي يشهد به العقل، فلم يقتنعوا له بذلك، وأرادوا إبطاله بالبرهان، فعجزوا عن ذلك، فوقعوا في الشك في وجود الصانع، والثاني: كالفكر في صفات الله تعالى، وأحوال الآخرة، فإنها معلومات لا يُطَّلَع عليها إلا بالمشاهدة والتجلي، فإعمال الفكر فيها موقع في الضلالة والجهالة»<sup>٣</sup>.

١ المصدر السابق: ج١ ص ٢٤٥.

٢ أَلَف الشيخ عبد اللطيف بن عبد الله الرازي الأسكداري (ت ١١٤٦هـ)، رسالة في شرح البراهين القائمة على إبطال التسلسل وإثبات تناهي الأبعاد، مخطوط بمكتبة عاشر أفندي بتركيا، وكذلك الحال عند أبي الحسنات اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ)، فقد جمع اثنين وخمسين برهاناً في إبطال التسلسل، وللوقوف عليها يراجع: كتابه: الكلام المتين في تحرير البراهين، تحقيق: علي ناجح الأمين، ط ١، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن (١٤٤٤هـ = ٢٠٢٣م) وتلك دلالة على العمق العلمي، والدقة في التصنيف عند أعلام الفكر الماتريدي؛ حيث افردوا مؤلفات خاصة في أعقد المسائل الفلسفية والمنطقية والكلامية لدرجة تصل إلى حد وصفهم بالابتكار والتجديد.

٣ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٠٧.

إن الفكر يجب أن يتوجّه نحو المجال الصحيح، ولا يتعدى دائرة اختصاصه؛ لأن أعمال العقل فيما هو أدنى من محله كالبديهيّات يؤدي إلى الشك والحيرة بدل اليقين، مثل طلب إثبات البديهيّات بالبرهان، وكذلك الحال في الأمور التي تفوق مستوى قدرات العقل، كالفكر في صفات الله تعالى، وأحوال الآخرة فإنها لا تدرك إلا بالكشف، والبحث العقلي فيها لا محالة يفضي إلى الضلال.

فهذا كله معنى الكمال في القوى النظرية للروح، وأما القوى العملية فكمالها في السيطرة على النفس الحيوانية، وهذا الكمال لا بد وأن يكون وفقاً لمبدأ التوسط والاعتدال أيضاً؛ ليتحقق التوازن السلوكي والأمان النفسي.

يقول صدر الشريعة: «كمال القوة العملية للروح العلوي أن يقوى على النفس الحيوانية، ويجعل قوته جاريتين على مقتضى الروح العلوي، ومقتضاه: أن يكون كل واحدة من القوتين متوسطة بين الإفراط والتفريط»<sup>١</sup>.

السبب الذي دفع صدر الشريعة المحبوبي للقول بالتوسط في القوة النظرية والعملية للروح:

وبصيغة أخرى: ما هي الغاية التي يسعى صدر الشريعة المحبوبي في الوصول إليها، وما الغرض من هذا الاعتدال والتوسط؟

إن الأجابة تكمن في أن الاعتدال والتوسط في القوة النظرية والعملية هو مفتاح السلامة النفسية، والصراط المستقيم الدقيق يمثل هذا الاعتدال، ومن ثم فإن الفوز بالجنة لا يكون إلا بالثبات عليه.

يقول صدر الشريعة: «فالاعتدال في هذه الأمور صحة النفس، وهو الصراط المستقيم الذي هو أدق من الشعر في أحد جانبيه نار منها تتوقد نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة، وفي الآخرة زمهرير، فمن ثبت على هذا الصراط جاز على الذي طريق هو الجنة»<sup>٢</sup>.

والحق أن هذه الغاية هي ما يسعى إليها المؤمن، ومن ثم فإن الصوفية قد جعلوها نصب أعينهم.

١ المصدر السابق: نفس الصفحة.

٢ المصدر السابق: ص ٦٠٧، ٦٠٨.

يقول أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): «إن الاعتدال في الأخلاق هو صحة النفس، والميل عن الاعتدال سقم ومرض فيها، كما أن الاعتدال في مزاج البدن هو صحة له، والميل عن الاعتدال مرض فيه»<sup>١</sup>.

انشرح الصدر بالإسلام:

وإذا ثبت أن مرتبة كمال الروح العلوي في القوة النظرية والعملية تسمى عقلاً، فإن هناك مرتبة أعلى من مرتبة العقل وهي الانشراح بالإسلام، وفي هذه الحالة يسمى صدرًا.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «ثم مرتبة الانشراح بالإسلام يسمى: صدرًا...، قال الله تعالى: ﴿أَقَمْنِ شَرْحَ اللَّهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]، فهذه المرتبة أعلى من العقل؛ إذ في مرتبة العقل ليس إلا العلم الاستدلالي بوجود الصانع بحيث حصل التصديق الإيماني...، وفي هذه المرتبة زاد على ذلك التصديق شيء آخر، وهو الانقياد والإذعان لعظمة الله تعالى»<sup>٢</sup>.

ولنقف قليلاً مع صدر الشريعة المحبوبي في هذه المرحلة التي تفوق رتبة العقل، وهي انشراح الصدر<sup>٣</sup> بنور الإسلام، لنرى ميله إلى اختيار سبيل السالك

١ إحياء علوم الدين، لأبي جامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): ج ٣ ص ٦٠، دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ).

٢ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٠٨.

٣ ذكر علاء الدين البخاري (ت ٧٣٠هـ) في كشف الأسرار أن شرح الصدر: «عبارة عن توسيعه وتفسيره لقبول الحق، والشرح يضاف إلى الصدر؛ لأنه فناء القلب والتوسع يضاف إلى الفناء». كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعلاء الدين عبد العزيز أحمد بن محمد البخاري (ت ٧٣٠هـ): ج ٣ ص ٢٩١، ط ١، مطبعة سنده، الناشر: شركة الصحافة العثمانية، تركيا (١٣٠٨هـ = ١٨٩٠م)، وقد ألمح شمس الأنمة السرخسي في أصوله عن السر في ربط شرح الصدر بالإسلام حينما قال: «وَهَذَا لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ هَذِهِ الشَّرِيعَةَ نُورًا وَشَرَحًا لِلصُّدُورِ فَقَالَ ﴿أَقَمْنِ شَرْحَ اللَّهِ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]». أصول السرخسي، لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني: ج ٢ ص ١٢٨، الناشر: لجنة إحياء المعارف النعمانية الهند (بدون تاريخ)، ولقد ربط السهروردي (ت ٦٣٢هـ) بين مقام الرضا وانشراح الصدر؛ إذ الرضا لا يحصل إلا بعد انشراح القلب وانفساحه، وهذا ما نقله عن شيخ الطائفة الجُنيد - رحمه الله - (ت ٢٩٧هـ) حينما أشار

للفوز بهذه المرتبة الرفيعة: «فإنه إذا جاهد نفسه، وَقَلَّ ظلمتها صار الروح متهيئاً لقبول نور الله، فالانقياد هنا مقدم على دخول النور، فيكون طريق السالك أتم»<sup>١</sup>.

وهناك طريق آخر ذكره صدر الشريعة المحبوبي، وهو ما يسمى بطريق المجذوب، وفي هذه الحالة «شرح الصدر مقدم على الانقياد، قال - رحمه الله -: إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح، ثم ذكر علامته التجافي عن دار الغرور. تمام الحديث: {قل ما علامة ذلك؟ قال: التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود}<sup>٢</sup>، فإن نور الله إذا ظهر انقاد كل شيء لعزته، فكان ظهور النور، وشرح الصدر مقدّمين على الانقياد، فهو طريق المجذوب»<sup>٣</sup>.

إلى هذا المعنى في قوله: «الرضا يحصل لانتشراح القلب وانفساحه، وانتشراح القلب من نور اليقين قال الله تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّيِّهٖ﴾، فإذا تمكّن النور من الباطن اتسع الصدر وانفتحت عين البصيرة، وعاین حُسن تدبير الله، فينتزع السخط والضجر؛ لأن انتشراح الصدر يتضمن حلاوة الحب، وفعل المحبوب بموقع الرضا عند المحب الصادق؛ لأن المُحب يرى أن الفعل من المحبوب مراده واختياره، فيفنى في لذة رؤية اختيار المحبوب عن اختيار نفسه». عوارف المعارف، لشهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (٦٣٢هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف: ج٢ ص٢٥٩، دار المعارف، القاهرة (بدون تاريخ)، وينتهي السادة الصوفية إلى أن أسمى النعم وأزكاها هي الإيمان، ولا طريق لها إلا أن يقذف الله في القلب نور البصيرة، فيتهيأ لاستقبال أنوار المعرفة والإيمان، وهذا ما جاء على لسان حجة الإسلام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): «لا نعمة الله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة، ولا وسيلة إليه سوى انتشراح الصدر بنور البصيرة؛ لأن الله تعالى جعل هذه الشريعة نورا وشرحا للصدور ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّيِّهٖ﴾». إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): ج٣ ص ٣٧٨.

١ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٠٩.  
٢ المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب الرقاق: ج ٤ ص ٣٤٦ حديث رقم: ٧٨٦٣، ط ١، دار الكتب العلمية بيروت (١٤١١ هـ = ١٩٩٠ م)، وسكت عنه الحاكم، بينما أفاد الذهبي في تلخيص المستدرك، فقال بعد أن أورده: (فيه عدي بن الفضل ساقط)، وشعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول: ج ٧ ص ٣٥٢ رقم الحديث: ١٠٥٥١، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م).

٣ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٠٨، ٦٠٩.

وإذا كان الصدر في فكر المحبوبي يمثل المرتبة الأولى لاستنارة الروح بنور الإسلام، وهو المأوى لأنوار الشريعة<sup>١</sup>؛ فإن الروح في مرتبة كمال الإيمان يسمى: قلباً؛ حيث إن الإيمان تصديق بالقلب، والقلب هو الذي يعكس ثبات الإيمان واستقراره إذا امتلأ باليقين القائم على الاستدلال<sup>٢</sup>.

ثانياً: تدرج شعب الإيمان من التصديق إلى تجلي الذات عند صدر الشريعة المحبوبي:

قام صدر الشريعة المحبوبي بعد هذا التأسيس بالحديث عن الأخلاق المتمثلة في شعب الإيمان، ليربط بين الأصل وفرعه بأسلوب بليغ يقوم على الاستنباط من فحوى الأحاديث النبوية، موضحاً أنه في حالة «انشرح الصدر» بنور الإسلام و«ثبات القلب» بيقين الإيمان، تنبت شجرة روحية زكية متكاملة<sup>٣</sup>، جذورها في اليقين، وأغصانها في العبادة والتزكية والأخلاق، فتثمر بضعاً وسبعين شعبة محفوفة بأنوار رحمت الله وبركاته، لتحقيق كمال الإيمان.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «فالإيمان وهو: التصديق القلبي شجرة لها أصل راسخ، وهو اليقين الاستدلالي، وقد يكون بلا أصل راسخ، كإيمان المقلد، ثم لها بضع وسبعون شعبة، كما في الحديث. قال - عليه السلام -: {الإيمان بضع وسبعون شعبة، وأفضلها قوله: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان}»<sup>٤</sup>.

إن الحديث عن شعب الإيمان فلسفة تطبيقية قام عليها منهج صدر الشريعة المحبوبي في ربط العلاقة بين الإنسان وسلوكياته مع ربه والناس والأشياء، لتنظيم حياة المسلم، ولا شك أن هذا يسهم في بناء منهج متكامل.

١ يراجع في تفصيل ذلك: إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ): ص ١٥٠، ١٥١.

٢ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٠٩.

٣ الإيمان هو أصل الشجرة الزكية الطيبة، والأعمال والطاعات فروعها، ولمعرفة تفاصيل ذلك ينظر: لطائف الإشارات، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ): ج ٢ ص ٢٤٨، وإحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): ج ١ ص ٧٥، وعرائس البيان في حقائق القرآن، لصدر الدين أبي محمد روزبهان بن أبي نصر البقلي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق الشيخ: أحمد فريد المزيدي: ج ٢ ص ٢٦١، ٢٦٢، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م).

٤ صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، كتاب الإيمان، باب أمور الإيمان: ج ١ ص ١٢ حديث رقم: ٩، ط ٥، دار ابن كثير، سوريا (١٤١٤هـ = ١٩٩٣م).

٥ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٠٩.

ولقد فصل صدر الشريعة المحبوبي شعب الإيمان<sup>١</sup>، منبهاً على أن هذا التفصيل قائم على النظر والاستنباط من السنة النبوية، لا من الرأي المجرد، وأن هذه الشعب تتفرع عن ثلاثة أغصان: هي المعاملة مع الله، ومع النفس، ومع الخلق.

يقول صدر الشريعة: «واعلم: أنه لم يصل إلَيَّ من كلام المتقدمين والمتأخرين تفصيل تلك الشعب، وها أنا فصلتها بتوفيق الله تعالى راجياً أن يكون إلهاماً رحمانياً، لا إيقاعاً شيطانياً على أني استخرجتها عن فحوى الحديث، وعن الأحاديث الأخر، لا عن مجرد الرأي والحسبان، وتلك الشعب متشعبة عن ثلاثة أغصان عظام: أعلاها المعاملة مع الله تعالى، والأوسط المعاملة مع نفسه ليتيسر الأعلى، والأدنى المعاملة مع الخلق ليتها الأوسط»<sup>٢</sup>.

١ صنّف في تعيين هذه الشعب كثير من العلماء، ومن هذه التصانيف: المنهاج في شعب الإيمان، لأبي عبد الله الحلّمي الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني (ت ٤٠٣هـ)، حققه: حلمي محمد فودة في ثلاثة أجزاء، ط١، دار الفكر (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م)، وشعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨هـ)، تحقيق: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع السعودية (١٤٢٣هـ = ٢٠٠٣م)، ومختصر شعب الإيمان للبيهقي، لأبي القاسم الكرخي عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، التميمي القزويني الشافعي (ت ٦٩٩هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ط٢، دار ابن كثير، دمشق (١٤٠٥هـ)، وعقد الجمان في بيان شعب الإيمان، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق: نظام محمد صالح يعقوبي، ط١، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م).

ولقد ذهب الحافظ ابن حجر العسقلاني إلى أن الروايات لم تتفق على عدد واحد، ووضع طريقته في عدّها قائلًا: «لم يتفق من عدّ الشعب على نمط واحد، وأقربها إلى الصواب طريقة ابن حبان، لكن لم نقف على بيانها من كلامه، وقد لخصت مما أورده ما أذكره، وهو أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن؛ فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيّات، وتشتمل على أربع وعشرين خصلة...، وأعمال اللسان، وتشتمل على سبع خصال...، وأعمال البدن، وتشتمل على ثمان وثلاثين خصلة». فتح الباري بشرح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب: ج١ ص ٥٢، ٥٣، ط١، دار المعرفة، القاهرة (١٣٩٠هـ)، ولقد علّق الإمام بدر الدين العيني على المؤلفات التي صنّفت في حصر هذه الشعب قائلًا: «ولم أر أحداً منهم شفى العليل، ولا أروى الغليل» ثم لخص هذه الشعب على طريقة الحافظ ابن حجر العسقلاني. ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر: ج١ ص ٢١٢، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢١هـ = ٢٠٠١م).

٢ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٠٩، ٦١٠.

وتقسيم شعب الإيمان إلى ثلاثة أغصان: مستنبط من حديث النبي - ﷺ -، ف«لا إله إلا الله» يمثل الغصن الأعلى: المعاملة مع الله، و«إمارة الأذى عن الطريق» يمثل الغصن الأدنى: المعاملة مع الخلق، و«الحياء» يمثل الغصن الأوسط المعاملة مع النفس، ويشترط في الغصنين: المعاملة مع النفس، والخلق أن يقصد بهما وجه الله تعالى، فلا يكونان من شعب الإيمان بدون هذا الشرط، وأن الانشغال بالخلق يعدّ نقصاً للمبتدئ السالك، بخلاف الكامل الذي لا يضره التعامل مع الناس.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «اعلم: أن هذه الأغصان غلّمت من قوله ﷺ: {فأفضلها قوله: لا إله إلا الله}، هذا من قبيل الغصن الأعلى، ثم قال: {وأدناها إمارة الأذى عن الطريق}، هذا من قبيل الغصن الأدنى، ثم قال: {والحياء شعبة من الإيمان}، هذا من قبيل الغصن الأوسط، فإن الحياء وهو: الانزجار عن المقابح من الأخلاق الباطنة، وهو من قسم تزكية النفس، فهو المعاملة مع نفسه، وهذان لا بد وأن يكونا لوجه الله، أي: المعاملة مع نفسه، والمعاملة مع الخلق يجب أن يكونا لوجه الله ليكونا من شعب الإيمان حتى لو كانتا للأغراض الدنيوية، فهما بمعزل عن شعب الإيمان، فهذا للمبتدئ المستكمل، أي: كون المعاملة مع الخلق غصناً أدنى إنما هو بالنسبة إلى المبتدئ المستكمل، فإن الاشتغال بالخلق نقصان له، بخلاف المنتهي المكمل»<sup>١</sup>.

ثم كل غصن من هذه الأغصان الثلاثة مشتمل على أربع وعشرين شعبة أما الغصن الأدنى، أي: المعاملة مع الخلق، فإنه تعالى لما جعل إمارة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان، وقد جاء في الحديث الشريف: {من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه}<sup>٢</sup>، وورد في برّ الوالدين، وصلة الرحم أحاديث كثيرة، ففهم من هذا أن

١ ينظر: المصدر السابق: ص ٦١٠.

٢ أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الأدب، باب من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره: ج ٥ ص ٢٤٠ حديث رقم: ٥٦٧٣، والإمام مسلم في صحيحه، تحقيق: أحمد رفعت عثمان حلمي القره حصارى، ومحمد عزت عثمان الزعفران بوليوي، ومحمد شكري حسن الأنقروبي: كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، ولزوم الصمت إلا من الخير،

من شعب الإيمان هذا الغصن بحسب أصناف الخلق، وكل من هو أقرب فرعايته أولى، فرتبها من الأبعد حتى انتهى إلى الأقرب، فحصل من هذا الترتيب أربعة وعشرون غصناً<sup>١</sup>.

وأما الغصن الأوسط، وهو المعاملة مع النفس، فخمس في الحواس الظاهرة، وأما الباطنة فالمعتبر منها القوة المفكرة، ثم قوة الشهوة التي يُحتاج إليها في الحياة، وهي شهوة المطعم والملبس والمسكن، ثم التي يُحتاج إليها في بقاء النسل، ثم القوة الغضبية، ثم للروح قوتان: نظرية وعملية، ثم اللسان، ثم الجوارح، فهذه اثنا عشر، ولكل طرف ما يأتي وما يذر، فتَهذيبها أربع وعشرون شعبة، وتهذيبها يكون بما يجب الإتيان به شعبة، وبما يجب أن يُترك شعبة أخرى، فمثلاً تهذيب القوة الباصرة أن ينظر إلى ما يجب، أو يحل النظر إليها، ويغض البصر عما يحرم، وكذا في الباقي، مع ملاحظة أن هذه الشعب لها فروع كثيرة<sup>٢</sup>.

ثم يتحدث صدر الشريعة المحبوبي عن الغصن الأعلى الذي ينظم العلاقة بين الإنسان وربه، وهو المعاملة مع الله تعالى، وتبدأ بامتثال العبد الحسي لأوامر الله تعالى ونواهيه، ثم تنتقل إلى إدراك لطائف الصفات الإلهية، وتنتهي بالمشاهدة القلبية لتجليات الذات الإلهية.

يقول صدر الشريعة المحبوبي عن الغصن الأعلى، وهو المعاملة مع الله تعالى: «وأما الأعلى، فالله تعالى إذا أراد أن يكمل عبداً شرفه بالتصديق، ثم

---

وكون ذلك كله من الإيمان: ج ١ ص ٤٩ حديث رقم: ٤٧، الناشر: دار الطباعة العامرة - تركيا (١٣٣٤هـ).

١ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦١٠، ٦١١. ولقد ذكر صدر الشريعة المحبوبي بياناً لشعب هذه الأغصان، وما ينبغي أن يُراعى في كل شعبة منها: وهي: رعاية مخلوق الله جماداً كان أو غير جماد، ثم حق النباتات، ثم الحيوان الذي يؤذي، ثم حيوان لا يؤذي، ثم الإنسان وإن كان كافراً حربياً، ثم كافر لا يُقاتل كالذمي والمستأمن، ثم المسلم الشرير، ثم المسلم السبيعي النفس، ثم المسلم البهيمي النفس، أي: الفاسق، ثم المسلم الصالح بالمودعة، ثم المسلم الذي به ضرر، ثم المسلم المظلوم، ثم المسلم المحتاج إلى الإعانة، ثم المنعم، ثم الضيف، ثم الجار، ثم الذي وعد بخير، ثم الأصحاب والخلان، ثم الخدم والعبيد، ثم الأهل، ثم الأقرباء، ثم الأولاد، ثم الوالدين، ثم أهل الله وظل الله، فهذه شعب هذا الغصن، ولها فروع، فإن فروعها كثيرة، ثم لأنواعه أصناف. يراجع: المصدر السابق: ص ٦١٠-٦١٣.

٢ ينظر: المصدر السابق: ص ٦١٣-٦١٦.



بالأعمال بواسطة كلامه، أي: الأمر والنهي وعدًا ووعدًا صادرين عن لطفه وقهره، فلما امتثل تعطر مشامُّ القلب من صفات اللطف والقهر بضوء أنوارها، وتنور زجاجته بتلألؤ أنوارها، ثم تجلى له تلك الصفات إلى أن يتجلى الذات، أي: يتدرج وصول شميم من صفات اللطف والقهر إلى أن يصل إلى تجلي تلك الصفات، ثم يتدرج تجلي الصفات إلى تجلي الذات»<sup>١</sup>.

فتلك الوقفة النورانية تحمل بعدًا صوفيًا عميقًا يتعلق بطريق السالك نحو ربه، ومحاولة من صدر الشريعة المحبوبي لرسم العلاقة التي تربط بين العابد والمعبود؛ فالله تعالى إذا أراد أن يكمل عبده، منحه التصديق «الإيمان»<sup>٢</sup> أولاً، ثم كلفه بالأعمال من خلال أوامره ونواهيه، فإذا استقام العبد على الطريق، والتزم الأوامر والنواهي، ففي هذه الحالة يحصل له التجلي؛ حيث تتوالي عليه الأنوار. فيمتلأ قلبه بأنوار صفات اللطف والقهر، وتتعطر روحه الزكية، ثم يرتقي من إدراك آثار الصفات «الثواب والعقاب» إلى إدراك الصفات نفسها «اللطف والقهر»، ثم يرتقي أكثر، حتى يصل لمرتبة تجلي الذات وهي أسمى المراتب.

ويضرب صدر الشريعة المحبوبي مثلاً على هذا التدرج في مراتب الكمال الروحي للوصول إلى التجلي الذي يمنحه الله تعالى للسالك بما حدث لسيدنا يوسف -عليه السلام-، فيقول: «إن صفات الله تعالى بالنسبة إلى الذات بمنزلة الثوب بالنسبة إلى البدن، فوجدان شميم تلك الصفات يكون، كوجدان ريح قميص يوسف، والثاني، أي: تجلي الصفات بمنزلة إلقاء القميص على وجهه، والثالث: أي: تجلي الذات بمنزلة رفع أبويه على العرش»<sup>٣</sup>.

١ ينظر: المصدر السابق: ص ٦١٦، ٦١٧.

٢ إن الله تعالى إذا منح عبده الإيمان واستقر في قلبه حتى صار يقيناً، فإن ذلك أصل الأنوار وبابها، وهو الموصّل لحب الله تعالى. يقول حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ): «إن الإيمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب سموم مهلكة، واليقين عبارة عن تأكد هذا التصديق، وانتفاء الشك عنه، واستيلائه على القلب، فيثمر نور هذا الإيمان مهما أشرق على القلب نار الندم فيتألم بها القلب؛ حيث يبصر بإشراق نور الإيمان أنه صار محجوباً عن محبوبه، كمن يشرق عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة فيسطع النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب، فرأى محبوبه وقد أشرف على الهلاك فتشعل نيران الحب في قلبه». إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: ج ٤، ص ٣، ٤.

٣ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦١٧، ٦١٨.

وبممكننا أن نرى ذلك التدرج في مراتب الكمال الروحي في عبارات السادة الصوفية، ومن ذلك ما ورد عن الشيخ عبد الكريم الجيلي (ت ٨٠٥هـ)، حينما قال: «إذا بقي - السالك - ببقاء الله تجلت عليه الأسماء اسمًا فاسمًا، فعرف الذات حينئذٍ من حيث الأسماء، وهذا حدُّ بلوغ علم اليقين، ومن هذا لا يكون إلا عينًا، ثم يرتقي من ذلك إلى تجليات الصفات، فيشهدا صفة بعد أخرى، فيكون مع الذات بما لها من الصفات، ثم يرتقي من ذلك إلى ألا يحتاج إلى الأسماء والصفات في كينونته مع الذات، ثم يرتقي من ذلك إلى أن يعرف موقع الأسماء والصفات من الذات فيعرف الذات بالذات، فتنصب بين يديه حضرة الأسماء والصفات فيشاهد حقائقها»<sup>١</sup>.

ومما سبق يمكننا أن نقف على عمق البناء الفكري لدى صدر الشريعة المحبوبي في تناوله لشعب الإيمان، حيث ينتقل من التأسيس العقدي للإيمان بوصفه تصديقًا قلبيًا إلى تفصيل تربوي وروحي بالغ الدقة يقوم على الاستنباط من السنة النبوية، وقد ظهرت براعة صدر الشريعة في دمج بين التصديق واليقين من جانب، والعبادة والتزكية والمعاملة من جانب آخر، مُجسدًا رؤية تكاملية للإيمان كشجرة لها أصل في اليقين وأغصان في السلوك، فعبر عن التدرج الروحي من التصديق إلى تجليات الذات الإلهية، بأسلوب رمزي بليغ، يُبرز تصوره لمراحل السلوك العرفاني التي يمر بها العبد الكامل، وهذا يُشكّل في مجمله مشروعًا تربويًا إيمانيًا متكاملًا، يستلهم النصوص ويستثمرها لتوجيه السالك نحو الكمال.

١ الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، للشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي (ت ٨٠٥هـ)، تحقيق: صلاح محمد عويضة: ص ٢٧٧، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٨هـ = ١٩٩٧م)، ويراجع: إحياء علوم الدين، لأبي جهم الغزالي: ج ٤ ص ٢٧، وإيقاظ الهمم في شرح الحكم، لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ): ص ١٠٩.

## المبحث الثاني

### رؤية صدر الشريعة الحنبلي للتجلي بالعروج على مقامات العارفين

التجلي عند الصوفية: «هو الاتصاف بالأخلاق الإلهية»<sup>١</sup>، وهو على ثلاثة أحوال: «تجلي ذات، وهي المكاشفة، وتجلي صفات الذات، وهي موضع النور، وتجلي حكم الذات، وهي الآخرة وما فيها»<sup>٢</sup>.

ويغوص صدر الشريعة الحنبلي في أعماق المقامات والأحوال، ودقائق العبارات والإشارات، لبيان كيفية حصول التجلي للروح، أي: تجلي الذات والصفات؛ فلا يحصل التجلي إلا للروح.

يقول صدر الشريعة الحنبلي في ذلك: «إن الروح العلوي في مرتبة كمال القوة النظرية والعملية يسمى عقلاً، وفي مرتبة الانشراح بنور الإسلام يسمى صدرًا، وفي مرتبة المراقبة والمحبة يسمى قلبًا، وفي مرتبة المشاهدة يسمى سرًا، وفي مرتبة التجلي يسمى روحًا»<sup>٣</sup>.

ومن خلال الشعبة الأعلى للإيمان يُرتَّب صدر الشريعة الحنبلي طريقته الذوقية في طريق الوصول إلى تجلي الذات.

ينطلق الحنبلي من الجانب العملي للسلوك، وهو أن مرتبة التجلي لا يصل إليها العبد إلا بأداء العبادات؛ حيث إن الطريق إلى الله تعالى يبدأ من التصديق القلبي، ثم الإقرار بالوحدانية. ثم العبادات الظاهرة من الصلاة والزكاة والصوم، ثم الحج الذي يجمع بين المقاصد الثلاثة لهذه العبادات.

يقول صدر الشريعة الحنبلي: «فبعد التصديق أوجب الإقرار بالوحدانية، ثم العبادة البدنية، وهي الصلاة، ولا بد لها من الطهارة، قال - ﷺ -: {الطهور شطر الإيمان}»<sup>٤</sup>، ثم المالية، وهي الزكاة، والعبادة لا تصفو إلا بترك الشهوات، أي: الصوم، ثم لا تتم إلا بعبادة مشتملة على الثلاثة، وهي الحج، والمراد بالثلاثة: العبادة البدنية، والمالية، وترك الشهوات، فإنه الخروج من الأهل،

١ لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، لعبد الرازق القاشاني (ت ٧٣٦هـ): ج ١ ص ٣١٣.

٢ التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق:

أحمد شمس الدين: ص ١٤٠، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٣هـ = ١٩٩٣م).

٣ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة الحنبلي: ص ٦٢٥،

٤ ينظر: المصدر السابق: ص ٦١٧.

٥ أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء: ج ١ ص ٤٠٠ حديث

رقم: ٢٢٣.

والمال، وقصد البيت الحرام بواد غير ذي زرع، وهو أنموذج من كون الملائكة حافين حول العرش»<sup>١</sup>.

ولا تكتمل العبادة الظاهرة إلا بطهارة الباطن، فلا بد من مقام التوبة، ثم الإنابة: «فالتوبة طهارة الباطن، وباطن الطهارة، ثم الإنابة، وهو الرجوع إلى الله تعالى، والتوجه إليه، وهي باطن الصلاة، وللصلاة باطن أخفى، لكن ذلك في صلاة المقربين، وكلامنا فيما هو من شعب الإيمان»<sup>٢</sup>.

إن التوبة والإنابة يعنيان الرجوع إلى الله تعالى<sup>٣</sup>، والفرق بين التوبة والإنابة: أن التوبة رجوع عن المخالفة إلى الموافقة، وهي صفة المؤمنين، والإنابة رجوع إلى الله، فهي أعلى وهي صفة المقربين<sup>٤</sup>.

فالمحوبي يبدأ بمقام التوبة؛ حيث إنه أول مقامات السالكين طبقاً لما اصطلاح عليه أهل السلوك.

يقول حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥هـ): «إن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب مبدأ طريق السالكين، ورأس مال الفائزين، وأول أقدام المريدن، ومفتاح استقامة المائلين، ومطلع الاصطفاء والاجتباء للمقربين»<sup>٥</sup>.

ويشير صدر الشريعة المحبوبي إلى بعض الأبعاد الصوفية العميقة من خلال تجربته الصوفية، والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:

١ - حقيقة الإيمان لا تقف عند أداء العبادات، بل تتجلى عندما تتحول هذه العبادات إلى أحوال قلبية، وسلوك باطني مصدره نور إلهي، يوجب التوبة والإنابة والزهد والتقوى، ويقود إلى العبودية الخالصة لله تعالى.

٢ - العلاقة بين العبادات الظاهرة ومقاصدها الباطنية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بمقامات الإيمان والسلوك إلى الله تعالى.

٣ - التوبة لا تكتمل إلا بالتقوى، وتقوى الخواص ليست مجرد اجتناب

١ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦١٨.

٢ المصدر السابق: نفس الصفحة.

٣ لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، لعبد الرازق القاشاني (ت ٧٣٦هـ): ج ١ ص ٢٤٨، ٣٥٣.

٤ ينظر: شرح منازل السائرين للشيخ عبد الله الأنصاري الهروي (ت ٤٨١هـ)، تأليف الشيخ: زين الدين محمد عبد الرؤف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي: ص ٧٠، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٣م).

٥ إحياء علوم الدين، لأبي جامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): ج ٣ ص ٢.

المحرمات؛ وإنما هي اجتناب الشرك الخفي، والصوم ظاهره الإمساك لكن باطنه التقوى، والزكاة ظاهرها إخراج المال والزهد باطنها، وهو التخلي عن علائق الدنيا، والحج ظاهره أداء المناسك، والفقر إلى الله باطنه، والصبر مطلوب في كل هذه العبادات<sup>١</sup>.

٤- دخول نور الله إلى القلب هو الذي يُسَيِّر المعاملات، وهذا النور يبدأ بإدراك الألوهية، وهو التجلي الأول، الذي يدعو إلى التوبة، ثم يتدرج إلى ربوبيته، فتأتي الإنابة، ثم إلى كونه مالك يوم الدين، فتتولد التقوى والزهد والصبر.

٥- الزهد والتقوى من شعب الإيمان، والزهد الصادق يكون بترك الدنيا طلباً للآخرة، وينبعان من تجلي حقيقة أن الله هو مالك يوم الدين، والغني الحميد.

٦- إن اتصاف ذات الباري تعالى بـ «الألوهية، والربوبية، والرحمة، والمُلك» أوجب له - سبحانه - العبادة ظاهراً وباطناً؛ لذا جاءت الآية الجامعة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ لتجمع بين العبادة والاستعانة<sup>٢</sup>.

### الأحوال والذوق القلبي:

ثم ينتقل صدر الشريعة المحبوبي إلى بيان كيف يصل السالك من الإيمان الظاهري إلى الذوق القلبي، مؤسساً ذلك على الأدلة النقلية.

والذوق القلبي هو «الحال»، ويقصد به التجليات الروحية العارضة، والمواهب التي ترد على قلب السالك، بخلاف «المقام»<sup>٣</sup>، فهو درجة مكتسبة ثابتة من الإيمان، ولكل مقام حال يناسبه<sup>٤</sup>.

١ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦١٨، ٦١٩.

٢ ينظر: المصدر السابق: ص ٦١٩، ٦٢٠.

٣ فرق الصوفية بين المقام والحال، واختلفوا في بيان الفرق بينهما، فقد ذهب القشيري إلى أن المقام: «ما يتحقق به العبد بمنزلته من الآداب بما يتوصل إليه بنوع تصرف، ويتحقق به بضرب تطلب، ومقاساة تكلف؛ فمقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك وما هو مشغول بالرياضة له، والحال عند القوم: معنى يرد على القلب من غير تعدد منهم ولا اجتلاب، ولا اكتساب لهم من طرب، أو حزن، أو بسط، أو قبض، أو شوق، أو انزعاج، أو هيبه، أو احتياج، فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال تأتي من عين الجود، والمقامات تحصل ببذل المجهود، وصاحب المقام مُمَكَّن في مقامه، وصاحب الحال مترقٍ عن حاله». الرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥ هـ): ج ١ ص ١٥٣، ١٥٤، وأما الهجويري (ت ٤٦٥ هـ) فيقول: «المقام عبارة عن طريق الطالب، وموضعه في محل الاجتهاد، وتكون درجته بمقدار اكتسابه في حضرة الحق تعالى، والحال عبارة عن فضل الله تعالى ولطفه إلى قلب العبد دون أن

فالأحوال حينما تتوارد على قلب المؤمن يصير بها الإيمان ذوقياً<sup>٢</sup>، ويشعر بإحساس قلبي مباشر بمعاني الإيمان، مثل لذة الذكر، وحلاوة التوكل، وذلك بعد مجاهدة النفس والتوبة: «فإذا توضع القلب بماء التوبة، ومضمض، واستنشق تهيأ لاستنشاق روائح القدس»<sup>٣</sup>.

فصدر الشريعة يشير إلى هذا التشبيه الرائع، وهو تشبيه تطهير القلب بالوضوء، ف «الاستنشاق» هو استقبال القلب للأنوار الإلهية، و«المضمضة» كناية عن تطهير اللسان والنطق بالذكر.

ثم يشير صدر الشريعة المحبوبي إلى أن شعب الإيمان تنشأ من تجليات صفات الله تعالى وآثارها في قلب المؤمن؛ فحالي الرجاء والخوف من ثمرات اللطف والقهر، وحياة القلب ليست صفة منفردة، بل هي جامعة لشعب الإيمان، وتتفرع من صفات الله الذاتية، كالعلم، والإرادة، والسمع، والبصر، وغيرها؛ فعندما تصيب القلب نفحة من الحياة الإلهية، يبعث ذلك فيه شعباً عديدة من الإيمان، فمن العلم تنشأ المراقبة، ومن السمع يظهر الذكر، ومن البصر الحياء، ومن الإرادة يكون الرضا، ومن الكلام تخرج الحكمة، ومن صفة الخالق يظهر الشكر، ومن كونه رازقاً ينتج التوكل، ومن الوحدانية ينبع الإخلاص، ومن الجمال الإلهي تتولد المحبة، والمحبة كمال الإيمان بدليل

يكون لمجاهدته نطق به؛ لأن المقام من جملة الأعمال، والحال من جملة الأفضال». كشف المحبوب، لأبي الحسن علي بن عثمان الهجويري (ت 465هـ)، تحقيق: إسعاد عبد الهادي فتدليل، تقديم: بديع جمعة: ج ٢ ص ٤٠٩، ط ١ - المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة (٢٠٠٧م)، ويراجع: لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، لعبد الرزاق القاشاني (ت ٧٣٦هـ): ج ١ ص ٤٠٣، ٤٠٤، ج ٢ ص ٣٢٥، وتجدر الإشارة إلى أن اختلاف الصوفية في بيان الفرق بين المقام والحال ليس اختلاف تناقض وتعارض، وإنما هو اختلاف بسط وإيجاز على حد تعبير الدكتور عبد الحليم محمود - رحمه الله - ينظر: المنقذ من الضلال مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي، د. عبد الحليم محمود: ص ١١٦، ط ١، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة (٢٠٠٣م).

١ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٢٠.  
٢ الذوق عند الصوفية: «يعبرون به عما يجدونه من ثمرات التجلي، ونتائج الكشوفات، وبواده الواردات». الرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ): ج ١ ص ١٧٨.

٣ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٢٠.

حديث النبي - ﷺ -: {من أحب الله، وأبغض الله، وأعطى الله، ومنع الله، فقد

استكمل الإيمان}¹، فإذا حصل حب الله فقد كمل الإيمان².

والمحبة وإن كان كمال الإيمان بها، لكنها متفرعة عن أصل التوحيد لله³، ويؤيد ذلك ما ذكره الشيخ نجم الدين الكبرى (ت ٦١٨هـ) حينما قال: «فأول المحبة طلب المحبوب للنفس، ثم بذل النفس له، ثم نسيان الاثنية، ثم الفناء في الوجدانية»⁴.

ويشير صدر الشريعة إلى أن عبارات السادة الصوفية عن الاستغراق، ما هي إلا ثمرة لمحبة صادقة⁵، ويقين راسخ، ولا يتحقق ذلك إلا بزوال صفات النفس المعيبة، وتطهير القلب من كل ما يشغله عن الله.

يقول صدر الشريعة: «وإشارات المشايخ في الاستغراق عائدة إلى تحقيق مقام المحبة؛ باستيلاء نور اليقين، وتحقيق حق اليقين بزوال اعوجاج البقايا، وإماطة لوث صفة النفس»¹.

١ أخرجه أبو داود بسنده من حديث أبي أمامة الباهلي: كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، ج ٧ ص ٦٩ حديث رقم: ٤٦٨٠، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ومحمد كامل قره بللي، ط ١، دار الرسالة العالمية، بيروت (١٤٣٠هـ = ٢٠٠٩م).

وهذا الحديث له شاهد من حديث معاذ بن أنس الجهني عن أبيه مرفوعاً؛ أخرجه الحاكم في مستدركه: كتاب النكاح: ج ٣ ص ٥٦٠ حديث رقم: ٧٢٨، فذكره بتمامه وزاد «وأنكح الله»، وقال عقبه: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يُخرجاه.

٢ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٢١، ٦٢٢.

٣ ينظر: المصدر السابق: ص ٦٢٢.

٤ فوائح الجمال وفوائح الجلال، لأبي الجناب نجم الدين الكبرى محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٦١٨هـ)، (تحقيق: د. يوسف زيدان: ص ١٨٠، ط ١، دار سعاد الصباح، القاهرة (١٩٩٣م)).

٥ يشير صدر الشريعة المحبوبي إلى أنه لا يكتمل إيمان العبد حتى تكون محبته للنبي - ﷺ -

فوق محبته لنفسه وماله وولده والناس جميعاً؛ فالمحبة الكاملة للنبي - ﷺ -، من لوازم محبة

الله، وهما قمة إيمان العبد. ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٢٢. ويستشهد بقول النبي - ﷺ -: {لا يكمل إيمان امرئ حتى أكون أحب إليه

من نفسه وماله وولده والناس أجمعين}، وهذا الحديث لم أقف عليه بهذه الألفاظ، ولكن أصل الحديث صحيح متفق عليه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنهما مرفوعاً {لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين}. فأخرجه البخاري كتاب الإيمان، باب حب الرسول - ﷺ - من الإيمان: ج ١ ص ١٢ حديث رقم: ٢٠، وأخرجه مسلم: كتاب الإيمان، باب

وجوب محبة رسول الله - ﷺ - أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين: ج ١ ص ٦٧

حديث رقم: ٤٤، ولفظهما سواء.

مراتب التجلي الروحي بين المحبة والتخلق دون اتحاد.

يتحدث صدر الشريعة عن مراتب ترقّي الإنسان في محبة الله ومعرفته حتى الوصول إلى مرتبة الفناء في الله؛ فالقلب هو نتيجة تفاعل الروح والنفس، فإن غلبت الروح النفس، ظهرت صفاتها كالمحبة والمعرفة، لكن بالنفس، وما تشتمل عليه من العجلة والنارية تتحول المحبة إلى عشق مشتعل مُحرق؛ فالعاشق لله يحترق من نار الشوق، لكنها نار مقدسة تطهره، ثم يرتوى من نهر الحياة، فينعم عليه الباري بلطفه، فيشفّي قلبه، ورغم هذه المعاناة الروحية التي يحياها الإنسان الضعيف، فإنه يتقبلها بسعة صدر، ويستمر في الارتقاء الروحي حتى ينسى نفسه في حضرة الله، وهذا ما يسمى بـ «الفناء»، أي: ذوبان الذات في المحبوب، ويبلغ درجة «المشاهدة»، وهي للسر؛ حيث يصل العبد إلى حالة ينسى فيها نفسه، ويغلب عليه المحبوب، فيصبح كأنه يرى الله، وهو مقام الإحسان<sup>٢</sup>.

ومما سبق يتوصل صدر الشريعة المحبوبي من خلال ترقّي النفس من الإدراك العقلي إلى الفناء الروحي إلى أن هذا الترقّي يتجلى في مراتب متعددة بحسب حالته واستعداده

يقول صدر الشريعة: «إن الروح العلوي في مرتبة كمال القوة النظرية والعملية يسمى عقلاً، وفي مرتبة الانشراح بنور الإسلام يسمى صدرًا، وفي مرتبة المراقبة والمحبة يسمى قلبًا، وفي مرتبة المشاهدة يسمى سرًا، وفي مرتبة التجلي يسمى روحًا»<sup>٣</sup>.

وأما مراتب الروح في تجلياتها، فتبدأ بتجلي الصفات، وتخلق الإنسان بها قدر الطاقة، سواء أكانت صفات الفعل: كالخلق، والإحياء، والإماتة، والرزق، أو صفات الذات: كالعلم، والسمع، والبصر، والحياة، والكلام، والقدرة، والإرادة، وتنتهي بأعلى التجليات، وهو نجلي الذات إما بالربوبية وإما بالألوهية<sup>٤</sup>.

ويصف صدر الشريعة المحبوبي هذه المرتبة الرفيعة من التجلي قائلاً: «والألوهية أظهر الأشياء وأبطنها، فنورها أول الأنوار وأظهرها، وتجليها آخر

١ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٢٨.

٢ ينظر: المصدر السابق: ص ٦٢٢ - ٦٢٥، ويقارن: إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ): ج ٤ ص ٣١٦.

٣ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٢٥.

٤ ينظر: المصدر السابق: ص ٦٢٥ - ٦٢٧.



التجليات وأبطنها، وفيما بينهما أنوار الصفات وتجلياتها، فإذا ظهر أثر من نور ألوهيته أوجب التوبة، ثم بعد ذلك يظهر نور ربوبيته؛ إذ ربوبيته أخفى من ألوهيته»<sup>١</sup>.

ثم ينبّه صدر الشريعة المحبوبي على أمر في غاية الأهمية وهو: أن التخلّق هنا لا يعني الاتحاد<sup>٢</sup>، بل الاقتداء السلوكي والمعرفي، مع النهي الصريح عن تجاوز الحد المؤدي إلى القول بالاتحاد<sup>٣</sup>.

إن نقطة التميّز عند صدر الشريعة تبدو في جمعه بين التنزيه المطلق والذوق الصوفي، إذ يؤكد على أن التخلّق بالصفات الإلهية لا يعني الاتحاد، بل هو اقتداء سلوكي ومعرفي مضبوط بضوابط الشرع والعقل، مما يُمثل أنموذجًا للتصوف السني المعتدل الذي يجمع بين المحبة والمراقبة، وبين الذوق والشريعة، في توازن يحفظ مقامات السالك من الانحراف العقدي أو الغلو في التجربة الروحية.

الإنسان صورة مصغرة<sup>٤</sup> من العالم:

١ المصدر السابق: ص ٦١٩.

٢ يشير حجة الإسلام الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) إلى أن بعض أهل العرفان في حالة التجلي والعشق، والتعلق بالنور الإلهي حتى فناء النفس، ربما يشتم منهم راحة القول بالاتحاد، لكن الأمر في الحقيقة ليس كذلك. يقول أبو حامد الغزالي: «اتفقوا على أنهم لم يروا في الوجود إلا الواحد الحق، لكن منهم من كان له هذه الحال عرفانًا علميًا، ومنهم من صار له ذلك حالاً ذوقياً، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا بالفردانية المحضة، واستوفيت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيه، ولم يبق فيهم متسع لذكر غير الله، ولا لذكر أنفسهم أيضاً، فلم يكن عندهم إلا الله، فسكروا سكرًا دفع دونه سلطان عقولهم... فلما خَفَ عنهم سُكرهم، ورُدُّوا إلى سلطان العقل الذي هو ميزان الله في أرضه، عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد بل شبه الاتحاد». مشكاة الأنوار، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥ هـ)، تحقيق: د. أبو العلا عفيفي: ص ٥٧، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (بدون تاريخ)، ويراجع: معجم ألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوي: ص ٢٥، ٢٦، والاتحاد يطلق على عدة معانٍ لمعرفتها بالتفصيل يراجع: لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، لعبد الرزاق القاشاني (ت ٧٣٦ هـ): ج ١ ص ١٥٩-١٦٣.

٣ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٢٧، والجدير بالذكر أن التنبيه على ضبط الروح في مرتبة التجلي، وعدم مجاوزة الحد خشية الوقوع في الاتحاد قد أشار إليه كثير من كبار الصوفية. يراجع على سبيل المثال: التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت ٣٨٠ هـ): ص ١٤٠ - ١٤٢، وإحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ): ج ٤ ص ٣٠٧، وعوارف المعارف، لشهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (ت ٦٣٢ هـ): ج ٢ ص ٣٠١.

يرى صدر الشريعة المحبوبي أن الإنسان مرآة للكون: نفس، وقلب، وروح. فالنفس: عالم الظاهر: ولها أطوار ثلاثة هي: الحس والعقل والصدر. والقلب: العالم المتوسط، وهو مركز الإيمان والتجليات، وله سبع طبقات ترتقي من الظاهر إلى باطن الباطن، وهي: الصدر: محل الإسلام والوساوس، ثم القلب: محل الإيمان، ثم الشغاف: محل محبة الخلق، ثم الفؤاد: محل رؤية الحق، ثم حبة القلب: محل محبة الحق، ثم السويداء: محل العلوم الدينية، ثم مهجة القلب: محل تجلي الصفات.

والروح: العالم الروحاني: وأطواره تجليات الصفات والذات، وكل مقام يتضمن أثرًا من المقام الأعلى، ما يدفع السالك للشوق الدائم والتدرج في السير، فأخر كل مرتبة من الثلاثة له امتزاج واشتباك بأول ما فوقه، فأخر العالم الظاهر له امتزاج بأول المتوسط، وآخر المتوسط له امتزاج بأول العالم الروحاني، وكذا لآخر كل طور امتزاج بأول طور فوقه<sup>٢</sup>.

والنتيجة التي يريد أن يصل إليها صدر الشريعة من خلال العروج على مراتب الروح هي ما نصّ عليها بقوله: «أن للإيمان شعبًا، ولها فروع، ثم له نور ورد كالأنوار والواردات، ثم ثمرات مع قشور كالمشاهدات، ثم تلطف القشور حتى تبلّغ إلى اللب الخالص، كتجليات الصفات والذات»<sup>٣</sup>.

فتلك هي الغاية الروحية التي يطمح صدر الشريعة في الوصول إليها؛ فالإيمان يتطور تدريجيًا من شعب وفروع إلى أنوار وواردات عبر طبقات روحية دقيقة، ثم مشاهدات، ثم تجليات تصل إلى اللب الخالص الذي هو تجلي الصفات والذات.

١ يراجع كتاب: خلق الإنسان، لأبي الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين (ت ٤٩٥ هـ): ص ١٥٨، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون تاريخ).

٢ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٢٩ - ٦٣١، والكلبيات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي أيوب بن موسى الحسيني (ت ١٠٩٤ هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري: ص ٧٠٤، مؤسسة الرسالة - بيروت (بدون تاريخ).

٣ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٣١، ٦٣٢.

### المبحث الثالث

#### تربية النفس والسلوك إلى الله عند صدر الشريعة المحبوبي.

سلك صدر الشريعة المحبوبي منهجاً صوفياً مُمَيَّزاً في تربية النفس والسلوك إلى الله؛ حيث أكد على أن العناية الإلهية هي سرّ نجاح السالك، وأن النفس لها مراتب ثلاث، تتدرج حتى تصل إلى مقام الاطمئنان، ومن ثم يبدأ عروج الروح اللامتناهي في معرفة الله. وهذه المراتب الثلاثة هي: -

- ١- النفس الأمارة بالسوء: وهي أدنى مراتبها، وتميل للشر.
- ٢- النفس اللوامة: والتي توجّه اللوم بعد الوقوع في الخطأ، ويدخلها نور من العالم الأعلى.
- ٣- النفس المطمئنة: وهي التي ترتاح وتطمئن بالوصول إلى المقام الأعلى وهو الرضا بالله.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «ثم للنفس مراتب: تكون أمارة، ثم لوامة، ثم مُطمئنة، ففي مرتبة القلب لوامة، وقبلها أمارة، وبعدها مطمئنة، فإنها إذا وصل إليها روح من المقام الأعلى لامت نفسها، وحنّت واشتاقت إلى المقام الأعلى، فإذا وصلت إليه اطمأنت»<sup>١</sup>.

فترقية النفس عند صدر الشريعة المحبوبي لا تتم ذاتياً، وإنما نتيجة لهذه النفحة الروحية من المقام الأعلى، فتُحرّك فيها الشوق والحنين إلى الكمال. ومما يزيد الأمر وضوحاً أن الشيخ نجم الدين الكبرى (ت ٦١٨هـ) قد كشف عن سرّ الترقّي في مراتب النفس، وأن طبيعة هذا التحول النفسي الذي يمثل البناء التدريجي لها، لا يتم إلا بمعونة من النور والعناية الإلهية.

يقول نجم الدين الكبرى (ت ٦١٨هـ): «خلقت النفس على جبلة الأمارية بالسوء طبعاً حين خلقت إلى طبعها لا يأتي منها إلا الشر، ولا تأمر إلا بالسوء، ولكن إذا رحمها ربها ونظر إليها بنظر العناية يقبلها من طبعها ويبدل صفاتها، ويجعل أماريتها مُبدلة بالمأمورية، وشريتها بالخيرية، فإذا تنفس صبح الهداية في ليلة البشرية، وأضاء أفق سماء القلب صارت النفس لوامة تلوم نفسها

١ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٣٢.

على شر فعلتها، وندمت على ما صدر عنها من الأمارية بالسوء، فيتوب الله عليها، فإن الندم توبة، وإذا طلعت شمس العناية من أفق الهداية صارت النفس مُلهمة؛ إذ هي تنورت بأنوار شمس العناية، فألهمها نورها فجورها وتقواها، وإذا بلغت شمس العناية وسط سماء الهداية، وأشرقت الأرض بنور ربها صارت النفس مطمئنة»<sup>١</sup>.

والمأمل فيما ذكره الشيخ نجم الدين الكبرى يجد أنه جعل النفس المُلهمة قسمًا رابعًا مع الأقسام الثلاثة «الأمارة بالسوء، واللؤامة، والمطمئنة». وقد أشار صدر الشريعة المحبوبي إلى أن النفس المُلهمة محل خلاف، فالبعض أضافها بين اللؤامة والمطمئنة - مثلما فعل الشيخ نجم الدين الكبرى - ؛ مريدًا بالإلهام إلهام الخواص، لكن رجَّح صدر الشريعة أنها ليست مرتبة مستقلة، بل تعني التعليم لا إلهام الخواص؛ ولأن إلهام الخواص للروح لا للنفس، وبالتالي تبقى المراتب ثلاثًا فقط<sup>٢</sup>.

ويضع صدر الشريعة المحبوبي مراتب النفس ضمن إطار السلوك الصوفي؛ حيث تنتقل من مرتبة النفس «العالم الأدنى»، إلى القلب «العالم المتوسط»، ثم إلى الروح «بداية العالم الأعلى». ففي النفس يتجلى أثر التهذيب الأخلاقي، وفي القلب تتجلى صفات الله، بينما يكون تجلّي الذات الإلهية خاصًا بالروح، فغاية السلوك بلوغ النفس إلى مهجة القلب؛ حيث تنتهي بتجلي نور الصفات الإلهية، وهو مقام الاطمئنان والرضا، بينما عروج الروح لا نهاية له، فمنح الله لأهل العرفان لا تتناهى<sup>٣</sup>.

ويظهر مما سبق أن ترقية النفس عند صدر الشريعة المحبوبي ليست مجرد تدرّج ذاتي في المراتب، بل هي نزعة روحية تُستثار بنفحة من العناية الإلهية التي تغرس في النفس شوقًا إلى الكمال، فترتقي من الأمارة إلى اللؤامة ثم إلى المطمئنة، وهو ما يمهد للروح مسار العروج إلى معرفة الله، ومن ثم يتصل الحديث بما بعده؛ حيث تتضح معالم هذا العروج من خلال التفرقة بين الجذب

١ التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، لنجم الدين الكبرى أحمد بن عمر بن محمد (ت ٦١٨هـ): ج ٣ ص ٣٢٨، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٤م).

٢ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٣٢، ٦٣٣.

٣ ينظر: المصدر السابق: نفس الصفحات.

والسلوك والعروج، وبيان أنواع السالكين، وفق درجاتهم في الاستجابة لتجليات الرحمة الإلهية، ومسالكهم في السير إلى الله.

### أنواع السالكين:

قبل الوقوف على أنواع السالكين ينبغي التفرقة بين ثلاثة مصطلحات رئيسية، وهي: «ال جذب، والسلوك، والعروج».

فال جذب: هو السحب، وهو أخذ الحق - جل جلاله - لعبده على حين غفلة من نفسه، ونبذه في حضرة قدسه بتجلي بوارق أنسه من حيث لا يدري، فجذبة من جذبات الرحمن توازي أعمال الثقلين، وليس ذلك باختيار من العبد<sup>١</sup>. أما السلوك: فهو السعي الذي يقوم به السالك في سيره في طريق الله حتى يصل إلى مقصوده؛ حيث يطهر نفسه عن الأخلاق الذميمة، مثل حُب الدنيا والجاه، والحقد والحسد، والكبر والبخل، والعجب والكذب، والغيبة والحِرص ونحوها من المعاصي، ويتَّصف بالأخلاق الحميدة، مثل العلم والحلم، والحياء والرضا، والعدالة ونحوها.

وأما العروج: فهو الإنعام والإفضال، فمتى أنعم الحق على عبدٍ بال جذب؛ فإن قلبه يصل إلى الحضرة الربانية، فيتخلّى عن كلّ ما سوى ذلك من العلائق، ويصبح حينئذٍ عاشقاً، فإن استمرّ في هذه الحالة، فهو الذي يقال له المجذوب، ثم إذا عاد لحاله ووعيه واستمرّ في طريق السلوك إلى الله، فهو من يقال له: المجذوب السالك، أما إذا بدأ مراحل السلوك حتى أتمها ثم وصلته الجذبة الإلهية فهو الذي يدعى السالك المجذوب، وأما إذا كان سالكاً، ولكنه لم يُجذب بعد فهو يُسمّى السالك، فيكون مجموع ذلك أربعة: مجذوب، ومجذوب سالك، وسالك مجذوب، وسالك فقط<sup>٢</sup>.

١ ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي محمد بن علي الفاروقي (ت ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج: ج١ ص ٩٦٩، ط١، مكتبة لبنان، بيروت (١٩٩٦م)، والفتوحات القدسية في شرح قصيدة في حال السلوك عند الصوفية المسماة بالقصيدة النقشبندية، للشيخ أبي بكر بناني (ت ١٢٤٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمن الحدادي، وإسماعيل بن عبد الرحمن المساوي: ص ٢٤٢ وما بعدها، ط١، كتاب ناشرون، بيروت (١٤٣٢هـ = ٢٠١١م).

٢ ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي (ت ١١٥٨هـ): ج١ ص ٩٦٩، ونصيحة المريد في طريق أهل السلوك والتجريد، للشيخ علي بن عبد الرحمن الجمل (ت ١١٩٣هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي: ص ١٧، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).

وأيًا ما كان الأمر؛ فالجذب: هو أن يجذب الله العبد إليه فجأة، من غير سعي منه أو مجاهدة، ويدخله في حضرته بنفحة من رحمته، بخلاف السلوك: الذي هو السير الإرادي للعبد في طريق الله، عبر مجاهدة النفس بالتخلي عن الأخلاق السيئة، والتخلي بالأخلاق الحسنة، وأما العروج: فهو ارتقاء القلب إلى الحضرة الإلهية بعد الجذب، حيث يتخلي العبد عن كل ما سوى الله، ويصبح عاشقًا له.

وإذا تقرر ذلك فإن السالكين حسب حالتهم الروحية على أربعة أصناف كما صوّره صدر الشريعة المحبوبي: «سالك لم يشرف بالجدبة، وهو الذي قطع الطريق، وعبر على المقامات، والأحوال واطمأنت نفسه، لكن لم يفتح عليه باب من المشاهدة، وإما مجذوب غير سالك، وهو ممن رفع عن قلبه شيء من الحجاب، لكن لم يأخذ في طريق المعاملة، وإما سالك مجذوب، وهو سالك فُتح له ذلك الباب، وإما مجذوب سالك، وهو من استنار قلبه بأنوار المشاهدة، ثم فاض من باطنه على ظاهره، وجرت عليه صور المجاهدة والمعاملة من غير مكابرة لامتلاء قلبه بالمحبة، فأجاب قابله قلبه بالعمل»<sup>١</sup>.

فهذه رؤية روحية من صدر الشريعة لتفصيل مسارات أهل العرفان في طريقهم إلى الله تعالى، وتنوع التجليات الإلهية على قلوب عباده، فالقرب منه تعالى له أبواب متعددة، فقد يأتي العبد إلى ربه من باب مجاهدة السلوك، وقد يُنعم عليه بنفحة من نوره فيجذبه إليه، وقد يأتي من كلا الطريقين.

ولكن ما هو الطريق الأفضل للسالك من بين هذه الطرق الأربع عند صدر الشريعة المحبوبي؟

يجيب صدر الشريعة بأن الأول والثاني لا يقتدى بهما، وأما كل من السالك المجذوب، أو المجذوب السالك فتليق بهما رتبة المشيخة، والأفضل من كان مجذوبًا سالكًا، وهو طريق الأنبياء، والمحبوبين من الأولياء<sup>٢</sup>.

ثم يؤكد صدر الشريعة المحبوبي على أن الجدبة الإلهية أصل السير إليه تعالى، والتوفيق نوع منها، وأن السير الحقيقي لا يتم إلا بالاعتماد الكامل على الله، عبر التخلية عن كل شواغل النفس، والفناء في محبته؛ فالمجاهدات

١ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٣٤.

٢ ينظر: المصدر السابق: نفس الصفحة.

تُذَلِّل، والعوائق تُقَطَّع بِمَحَبَّةٍ خَالِصَةٍ وتوجه داخلي نحو الله، حتى تصير كل الأحوال وسائل للترقي.

والصدق والإخلاص هما معيار السير في الطريق إلى الله تعالى، واتباع الشرع هو الدليل على نور الله في القلب، والمجاهدات إذا انطلقت من وجدان صادق - حتى لو كان ناتجاً عن عشق مجازي - يمكن أن تُفْضِي إلى العشق الحقيقي بالله عبر تطهير النفس بتدرج<sup>١</sup>.

الطريقة الجُنَيْدِيَّة وأثرها في تزكية النفس:

إن صدر الشريعة المحبوبي يجزم بأن ذكر: «لا إله إلا الله» هو محور الطريق إليه تعالى، ويختار «الطريقة الجُنَيْدِيَّة»<sup>٢</sup> المنسوبة لشيخ الطائفة الإمام الجنيد - رحمه الله - (ت ٢٩٨ هـ) كأنموذج عملي لهذا السير، وهي تقوم على عشر خصال في تزكية النفس وتطهير القلب، وهذه الطريقة هي ما استقرَّ عليها الشيخ نجم الدين الكبرى (ت ٦١٨ هـ) من قبل.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «ولا شيء يجلب المحبة، ويقطع العروق موافقاً للشرع، كذكر: لا إله إلا الله بالشرائط المشهورة، وهو الطريقة الجُنَيْدِيَّة المبنية على عشرة أمور: ١- تقليل الغذاء. ٢- دوام الوضوء. ٣- دوام الصوم. ٤- دوام السكوت. ٥- دوام الخلوة. ٦- دوام الذكر. ٧- دوام ربط القلب بالشيخ، واستفادة علم الواقعات. ٨- دوام نفي الخواطر. ٩- دوام ترك الاعتراض على الله في كل ما يرد عليه، وترك السؤال منه من جنة أو تعوذ من النار. ١٠- ترك الاختيار، وإفناءه في اختيار الشيخ، هذا ما قال الشيخ نجم الدين الكبرى<sup>٣</sup> قدس الله روحه»<sup>٤</sup>.

ثم يستشهد صدر الشريعة المحبوبي بما جاء عن السُّهْرُورِيِّ (ت ٦٣٢ هـ) بما يفيد أن بداية الحياة الروحية الحقيقية تُشَبِّه الولادة الجسدية، فيقول: «قال

١ ينظر: المصدر السابق: ص ٦٣٤ - ٦٣٦، ونتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، للشيخ زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ)، تحقيق: عبد الوارث محمد علي: ج ٣ ص ٣٩ وما بعدها، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٨ هـ = ٢٠٠٧ م).

٢ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٣٧.

٣ يراجع: فوائج الجمال وفواتح الجلال، لأبي الجناب نجم الدين الكبرى = (ت ٦١٨ هـ): ص ١٢٤، ١٢٥.

٤ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٣٧.

صاحب العوارف: أربعة أمور هي في الولادة المعنوية، كالأركان الأربعة في الولادة الطبيعية، وهي: الإيمان، والتوبة، والزهد، وتحقيق العبودية بدوام العبادات القلبية والقلبية، وتتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى هي: قلة الطعام، والكلام، والنمائم، وصحبة الأنعام<sup>١</sup>.

والمأمل فيما نقله صدر الشريعة المحبوبي عن سيح الطائفة والشيخ السهروردي يجد أنه كان موفقاً في هذا الأمر، فبين النصين اتفاق وانسجام من حيث الغاية، وهي تزكية النفس للوصول إلى محبة الله، ولكن البراعة في الاستشهاد تظهر من حيث التكاملية التي تربط بين النصين، فجاء النص الأول الذي نُقِلَ عن الجنيد - رحمه الله - بمثابة المنهج العملي للسير في الطريق الصوفي، ولكن الحاجة دعت لأساس نظري وتربوي يرسم بداية الطريق، ويؤسس لبناء روح جديدة صافية، فجاء كلام السهروردي ليكشف عن هذا الغرض.

#### مخاطر السير في الطريق الصوفي:

تناول صدر الشريعة المحبوبي مسألة تمييز الخواطر<sup>٢</sup> لدى السالك في الطريق إلى الله، وكشف بنزعة صوفية دقيقة عن خريطة النفس والروح، مؤكداً على ضرورة الإخلاص، ومعرفة المقامات، وفهم الرموز الباطنية للسير الروحي، بوصفه علماً دقيقاً لا يتم إلا على يد شيخ بصير، مشيراً إلى أن السالك قد تعثره بعض المخاطر في سيره، ومنها ما يلي:-

١ المصدر السابق: ص ٦٣٧، ويراجع: عوارف المعارف، لشهاب الدين السهروردي (ت ٦٣٢هـ): ج ٢ ص ٢٧٠.

٢ فرّق الصوفية بين الخواطر والواردات، ومن ذلك ما جاء على لسان القشيري: «الخواطر: خطاب يرد على الضمائر، فقد يكون بإلقاء الشيطان، ويكون أحاديث النفس، ويكون من قبل الحق - سبحانه -، فإذا كان من الملك، فهو الإلهام، وإذا كان من قبل النفس، قيل له: الهواجس، وإذا كان من قبل الشيطان، فهو الوسواس، وإذا كان من قبل الله - سبحانه وتعالى - وإلقائه في القلب، فهو خاطر حق.

والواردات: ما يرد على القلوب من الخواطر المحمودة مما لا يكون بتعمد العبد، وكذلك ما لا يكون من قبل الخواطر، فهو أيضاً وارد، ثم قد يكون وارد من الحق، ووارد من العلم؛ فالواردات أعم من الخواطر؛ لأن الخواطر تختص بنوع الخطاب أو ما يتضمن معناه، والواردات تكون وارد سرور، ووارد حزن، ووارد قبض، ووارد بسط إلى غير ذلك من المعاني». الرسالة القشيرية في علم التصوف، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري: ج ١ ص ١٩٧، ٢٠٠، ويراجع: لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، لعبد الرازق القاشاني: ج ١ ص ٤٣٩، ٤٤٠، ج ٢ ص ٣٧٩.



- الخواطر: وهي خمسة: أولها: خاطر النفس: ويدعو إلى الشهوات، وهو ظاهر، لكنه شديد التعلق بالنفس، وصعب المجاهدة، بخلاف ثانيها: خاطر الشيطان: وهو دقيق خفي، يُلبس المعصية بثوب الطاعة، ويدعو إلى الرياء والعُجب، وهما من الشرك الخفي، إلا أن النفس لها سلطة عليه أقوى من الأول.

يقول صدر الشريعة: «فخاطر النفس يدعو إلى مُشهياتها، وخاطر الشيطان يرى المعاصي في صورة الطاعات، ويدعو إلى مراعات الخلق، ومراعات نفسه، وهي العُجب، وهما شرك خفي، ولا شيء في إحباط العمل أقوى منه، وخاطر النفس أسهل معرفة، وأشد امتناعًا، وخاطر الشيطان على العكس، فإنه أدق، لكن سلطنة النفس أقوى»<sup>١</sup>.

ثم يضع صدر الشريعة المحبوبي الحل للتخلص من خاطر الشيطان، وهو الإخلاص التام، ونفي رؤية النفس والعمل؛ حيث يقول: «فيجب أن يَعْلَم السائر أن لكل واحد من الإخفاء والإظهار أوان، فالإظهار والترغيب حظ المنتهي المُكْمَل لا حظ المبتدئ المستكمل، فإذا أخفى العامل عمله يأتي الشيطان، ويوسوس إنك من المخلصين؛ حيث أخفيت طاعتك عن الخلق، فيوقعه في العُجب، وهو شر من الرياء، فإن الخلاص من الرياء أسهل من الخلاص عن رؤية عمله، فملاك الأمر أولاً قطع النظر عن الخلق، وعن رؤيتهم وعدم رؤيتهم، وأن لا يكون عملك إلا لله، سواء رآه غيره أم لا»<sup>٢</sup>.

وثالثها: حاطر الملك: وهو أمر معنوي داخلي يُلهم النفس بفعل الطاعات، ويأتي مصحوبًا بالطمأنينة والسكينة، ورابعها: خاطر القلب، الذي وإن كان يدعو إلى الطاعة أيضًا، إلا أنه غالبًا ما يأتي مصحوبًا بهيجان وشوق، لا سكون، وخامسها: حاطر الحق وهو يعلو على جميع الخواطر.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «وخاطر الملك يدعو إلى الطاعة، وكذا خاطر القلب إلا أن ذلك مع سكينة، وهذا مع وجد وهيجان، وخاطر الحق هو العلم الدني، وأمر كن فيكون، وهو يعلو ولا يعلو»<sup>٣</sup>.

١ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٣٧، ٦٣٨.

٢ المصدر السابق: ص ٦٣٨.

٣ المصدر السابق: نفس الصفحة.

ومسألة حصر الخواطر في عدد معين ليست محل اتفاق عند الصوفية، فقد زاد بعض الصوفية فيها حتى وصلت الخواطر إلى ستة، واختلفت مسمياتها عند البعض الآخر، إلا أن الأغلب متفق على أربع أنواع رئيسة للخواطر، فهي إما من الحق، أو من الملك، أو من النفس، أو من الشيطان، والحق أن هذه الخواطر الزائدة ترجع في أصلها إلى الأنواع الأربع، لكنها تختلف بحسب الوسائط والكيفية.

يقول شهاب الدين النقشبدي (ت ١٢٧٠هـ): «والكثير على أن الخواطر أربعة: خاطر من الحق تعالى، وخطر من الملك، وخطر من النفس، وخطر من الشيطان...، وزاد الشيخ مجد الدين البغدادي (ت ٦١٠هـ) - رحمه الله تعالى - على الخواطر الأربعة خاطر القلب، وخطر الشيخ، وبعضهم خاطر العقل، وخطر اليقين، وفي الحقيقة ترجع هذه الخواطر إلى الخواطر الأربعة وتندرج تحتها؛ فإن خاطر القلب مندرج تحت خاطر الملك، وإن كان من إمداد النفس والشيطان، فهو من قبيل خاطر العدو، وأما إمداد الشيخ: فهو إمداد صاحب الشيخ يصل إلى قلب المريد الطالب مشتملاً على كشف مُعْضِل، وحلٍ مُشْكِل في وقت استكشاف المريد باستعداد من ضمير الشيخ، وذلك داخل تحت خاطر الحقاني؛ لأن قلب الشيخ بمثابة باب مفتوح إلى عالم الغيب، وكل لحظة يصل إمداد فيض الحق سبحانه وتعالى على قلب المريد بواسطة الشيخ، وأما خاطر اليقين، فهو وارد مجرد من معارضات الشكوك والريب، فيدخل تحت الحقاني أيضاً، وأما خاطر العقل فقد قال صاحب العوارف 'هو متوسط بين الخواطر الأربعة'².

١ يراجع: عوارف المعارف، لشهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (ت ٦٣٢هـ): ج ٢ ص ٢٦٣.

٢ الفيض الوارد شرح مرثية مولانا خالد النقشبدي، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي النقشبدي (١٢٧٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي: س ٢٤٨، ٢٤٩، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٠م)، ويراجع: التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ): ص ١٠٤، وقوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لأبي طالب المكي محمد بن علي بن عطية (ت ٣٨٦هـ): ج ١ ص ٢٠١ وما بعدها، وإحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): ج ١ ص ١٩٧، والغنية لطالبي طريق الحق - عز وجل -، للشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني (ت ٥٦١هـ)، تحقيق: صلاح محمد عويضة: ج ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٧، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٧هـ = ١٩٩٧م).

- ومنها: الكشف والتجليات الباطنية: وهي مما يعرض للسالك في طريقه من حقيقة ذاته وحضرة صفائه؛ حيث يبدأ السالك برؤية ظلمة وجوده النفسي، نتيجة حجب النفس والهوى، ثم تتدرج هذه الظلمة نحو الصفاء، فتظهر له ألوان وعناصر تعكس حاله الداخلي؛ فاللون الأحمر دليل على استيلاء الشيطان، والأبيض آمارة الصفاء، والأزرق يشير للنفس، والنار إن كانت صافية مع انشراح صدر دلت على الذكر، وإن كانت الأخرى فهي الشيطان، كما يرى السالك صوراً رمزية: مثل الحيوانات، أو الجيف والنجاسات، وكلها تُعبر عن صفات النفس كالغرائز، والرزائل<sup>١</sup>.

- ومنها: الرؤى والتأويل الباطني: ويُفَرَّق صدر الشريعة بين تعبير الرؤيا الظاهري وتعبيرها الباطني؛ فقتل الحية في المنام عند العوام، يعني: قتل العدو، لكن الأمر يختلف عند السالك، فيعني قهر النفس<sup>٢</sup>. فهذه اللحظة تلفت النظر إلى نوع معين من التأويل هو التأويل الذاتي للرؤيا داخل سياق السير الروحي، حيث ينظر إلى النفس كأعظم الأعداء.

- ومنها: الأنوار: فيقسم صدر الشريعة الأنوار إلى: علوية موهبية: وهي هبة ربانية خالصة تنزل على قلب السالك، وسُفلية كسبية: نتيجة للطاعات والمجاهدات، كأنوار الموضوع أو الذكر، كذلك ترمز الكواكب إلى الأعضاء الروحية؛ فالشمس ترمز للروح، والقمر للقلب، والنجوم لأنوار الإسلام، ويقابلها: المشاعل والشموع والسُرُج: وهي مراتب للأنوار الكسبية في الروح والقلب والصدر<sup>٣</sup>.

فقلوب العارفين هي محل الأنوار الحقيقية العلوية التي تهبُّ كالنفحات على قلوبهم بخلاف الأنوار الكسبية.

ومما يزيد الأمر وضوحاً ما ذكره الشيخ أبو عبد الله النَّفَّري (ت ٧٩٢هـ) في قوله: «نجوم العلم، وأقمار المعرفة، وشموس التوحيد مطالعها - الأنوار -،

١ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٣٩، ولمزيد من التفصيل يراجع: الدرر الجوهريّة في شرح الحكم العطائية، للشيخ: عبد الرؤف المناوي (ت ١٠٣١هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي: ص ٤٤ - ٤٦، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠٢١م).

٢ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٣٩.

٣ ينظر: المصدر السابق: ص ٦٤٠.

وموضع شروقها قلوب العارفين وأسرارهم، وهذه هي الأنوار الحقيقية من المطالع الروحانية، بخلاف الأنوار الحسية»<sup>١</sup>.

- ومنها: الوقائع المقامية والاستعدادية؛ فالمقامية: تدل على مقام حقيقي بلغه السالك، بينما الاستعدادية تدل على استعداد النفس لذلك المقام في المستقبل، لكنها ليست مقامًا فعليًا، ويتم التمييز بينهما من خلال تسلسل التجليات؛ فإن بدأ بالروى العلوية ثم نزل إلى السفلية فهي استعدادية لا مقامية<sup>٢</sup>.

فهذه النظرة الصوفية من صدر الشريعة المحبوبي تدل على التطور الروحي للسالك من خلال رؤية رمزية عميقة للعناصر والأنوار والمرائي، بهدف التمييز الدقيق بين الأحوال الحقيقية والوهمية التي تحدث له أثناء السير في طريقه. ضرورة الشيخ في حياة السالك.

يؤكد صدر الشريعة على ضرورة وجود شيخ بصير يميز حال المريد، ويأخذ بيده إلى مراتب الكمال، فيقول: «وهذا سر دقيق لابد للشيخ من معرفته؛ ليتفرس في المريدين كمية استعدادهم، وكيفية تربيتهم، وحال أمرهم، ويعرف به منازلهم، وبه قد علم كل أناس مشربهم»<sup>٣</sup>.

والحق أن هذه الأمور التي تحدث للسائر في طريقه لابد من شيخ يتعهد به بالنصح والتوجيه والإرشاد يكون قد سار في الطريق من قبله، ومَرَّ على هذه المصاعب، وقد نبّه الصوفية على ضرورة وجود الشيخ في حياة السالك؛ لضبط مراحل سيره.

يقول ابن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ): «الشيخ يكون قد اختبر الطريق صعبها وسهلها، فينظر في حال المريدين، فمن كان قويًا حمّله على الصعبة؛ ليطوي

١ غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد النّفّري (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: عبد الله سليم المختار: ص ١٩٠، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون تاريخ).  
٢ ينظر:

شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٤٠، ويراجع ما ذكره القشيري في هذا الشأن. الرسالة القشيرية في علم التصوف: ج ١ ص ١٤٣.

٣ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٤١.

عنه مسافة البعد، ومن كان ضعيفاً حمله على السهولة؛ لئلا يُنْفَرَه فيرجع من حيث جاء»<sup>١</sup>.

إن رحلة السالك المجتهد في الطريق إلى الله رحلة ارتقاء، تبدأ تدريجياً بولادة القلب، فتبدو له حركة كحركة الجنين، وبعد تلك الحركة، يصل السالك إلى مرحلة الذكر اللساني والقلبي، والذكر لا يبقى حبس القلب، بل يمتد إلى كل الجوارح، فتتحرك كلها بذكر الله، ثم يُكشف لروح السالك صوراً معنوية تظهر على هيئة بدن، أي: جسد نوراني يُمثل أخلاقه وصفاته التي اكتسبها في سلوكه، وهذه الصور تكون غاية في الجمال واللفظ، والقلب هو مركز هذه التجليات الروحية<sup>٢</sup>.

فهذه الأمور المذكورة قد تؤثر سلباً على عقيدة السالك، ويهلك بسببها إذا سار وحده بدون شيخ خبير بأغوار الطريق؛ ولذا فإن صدر الشريعة يحذر من السير في هذه المهالك بدون شيخ يضبط التجربة.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «وللسيار في تلك المنازل مهالك، فإن الاعتقادات الفاسدة كالتشبيه، ونحوه لم تنشأ إلا منها، والشيخ المكمل ينجيه منها، فإذا انكشف للروح نظر تجلي الحق، فيغلط ويقع في التجسيم، والاعتقادات الفاسدة»<sup>٣</sup>.

وفي إطار حديث صدر الشريعة المحبوبي عن مراتب النفس ومنازل السالكين يتوسّع في تحليل الأحوال الروحية التي تعترى السالك في طريقه إلى الله، فيبين أن السير ليس خطأً مستقيماً بلا اضطراب، بل هو تحوّل مستمر في باطن الإنسان، تتنازعه قبضات الانكماش، وبساطات الانشراح، وتجذبه أنوار القرب، وتدفعه أشواق الوصول، بين فناء النفس وبقاء الروح، وتقلبات التلوين وثبات التمكين.

١ الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية، لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود: ص ٩٢، عالم الفكر، القاهرة (بدون تاريخ)، وراجع: إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): ج ٣ ص ٦١، وعوارف المعارف، لشهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (ت ٦٣٢هـ): ج ٢ ص ٢١٧ - ٢٢٢.

٢ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٤١، ٦٤٢.

٣ المصدر السابق: ص ٦٤٢.

أحوال السالكين إلى الله عند صدر الشريعة:

تميّز صدر الشريعة برؤية متوازنة تجمع بين التحليل الدقيق لحالات القلب والروح، والفهم العملي لمسالك النفس، فجعل من الأحوال الروحية مثل: القبض والبسط، والقرب، والوصول، والفناء والبقاء، والتلوين والتمكين، محطات جوهرية في حركة السالك، تنعكس على تجربته، وتكشف عن مقامه، وتفصل بين أهل القلوب الذين تحكمهم الأحوال، وتستقر فيهم الأنوار والأسرار، وتفصيل ذلك فيما يلي:-

- القبض والبسط:

القبض: هو انكماش وضيق يحصل في القلب يُوجب السكون والهدوء، والبسط: انطلاق وانسراح للقلب يُوجب التحرك والانبساط، وهما حالتان بعد ترقى العبد عن حالة الخوف والرجاء، فالقبض للعارف بمنزلة الخوف للطالب، والبسط للعارف بمنزلة الرجاء للمريد.

والفرق بين الخوف والقبض، وبين الرجاء والبسط: أن الخوف إنما يكون من شيء في المستقبل: إما أن يخاف فوت محبوب، أو هجوم محذور، بخلاف القبض فإنه معنى يحصل في القلب، بسبب أو بغير سبب، وكذلك الرجاء يكون لانتظار محبوب في المستقبل، والبسط شيء موهوب يحصل في الوقت<sup>١</sup>.

ويرى صدر الشريعة المحبوبي أن القبض: حالة من الانكماش الروحي والحزن، والبسط: انسراح وفرح في القلب، ويرتبطان بمرتبة المحبة، والنفس اللوامة؛ ولذا يُصيبهما التغير وعدم الاستقرار، بخلاف الخوف والرجاء فهما دائمان؛ لأنهما من لوازم الإيمان.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «القبض والبسط، وهما يكونان في مرتبة المحبة التي تكون للقلب، وهي مرتبة النفس اللوامة، وهما كالحزن والنشاط

١ معراج التشوف إلى حقائق التصوف، للشيخ عبد الله أحمد بن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق: د. عبد المجيد خيالي: ص ٥٠، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب (بدون تاريخ)، ويراجع الرسالة القشيرية في علم التصوف، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري: ج ١ ص ١٤٣، ونتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، للشيخ زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ): ج ١ ص ٥٣ وما بعدها.

للنفس، ولا يكونان إلا في تلك المرتبة بخلاف الخوف والرجاء، فإنهما دائماً؛ إذ هما من لوازم الإيمان»<sup>١</sup>.

- القرب: وهو الشعور بمعية الله تعالى، فيلاحظ السالك أن الله معه، وأقرب ما يكون العبد من الله في سجوده، قال تعالى: ﴿وَأَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩]<sup>٢</sup>.

- الوصول: وهو بلوغ مراتب التجلي الإلهي، وأعلى مراتبه: تجلي الذات، ويحدث لخواص الخواص في الدنيا لمحة، لكن: منازل الطريق لا تُقطع في الدنيا لعظمتها، والوصول الحقيقي يكون في الجنة<sup>٣</sup>.

- الفناء والبقاء: وهما حالان مرتبطان ببعضهما، والسالك ما بين فناء عن الخلق، حيث تزول عنه حظوظ النفس، ويغيب عن الخلق، وبين بقاء بالحق، فيكون في حضور مع الله، إما: ظاهراً: بروية أن الفعل لله وحده، أو باطناً: بمكاشفات روحية متعالية، كمشاهدة الصفات والذات.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «قيل: الفناء أن يفنى عنه الحظوظ، وقيل: هو الغيبة عن الأشياء، وقيل: هو التلاشي بالحق، والبقاء هو: الحضور معه، وهو إما ظاهر، وهو أن يتجلى بطريق الأفعال، أي: بتجلي صفات الفعل، ويسلب عن العبد اختياره فلا يرى لنفسه ولا لغيره فعلاً إلا بالحق، ثم يأخذ في طريق المعاملة مع الحق بحسبه، فمن كان في هذا المقام يبقى أياماً لا يأكل ولا يشرب، فيتجرد له فعل الله، وإما باطن وهو أن يكشف تارة بالصفات، وتارة بمشاهدة آثار عظمة الذات، ويستولي على باطنه أمر الحق لا يبقى له هاجس، وفي البعض يتفق، والظاهر لأرباب القلوب، والباطن لمن أطلق عن وثاق الأحوال»<sup>٤</sup>.

١ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٤٢.  
٢ ينظر: المصدر السابق: نفس الصفحة، وللمزيد من التفصيل حول حال القرب يراجع: اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، لأبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ)، تحقيق: كامل مصطفى الهنداوي: ص ٥٢، ٥٣، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٦م)، والتعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن إسحاق الكلابادي (ت ٣٨٠هـ): ص ١٢٦، ١٢٧، ولطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، لعبد الرازق القاشاني: ج ٢ ص ٢٢٩.

٣ ينظر: شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٤٢.  
٤ المصدر السابق: ص ٦٤٣، وللتفصيل حول الفناء والبقاء يراجع: التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن إسحاق الكلابادي (ت ٣٨٠هـ): ص ١٤٢ - ١٥١، والرسالة القشيرية في علم التصوف، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري: ج ١ ص ١٧٠،

فهذه النفحات الروحية التي تجلت ظاهراً في حال الفناء والبقاء مركزها القلب، وأما الباطنة فهي تجلي الصفات والذات، وهي للروح التي تخلصت من علائق النفس وارتبطت بعالم القدس.

#### - التلوين والتمكين:

اختار صدر الشريعة المحبوبي التلوين والتمكين كواحد من النماذج العملية التي ذكرها ضمن سلسلة الأحوال التي تنزل على قلب السالك.

فالتلوين: هو تغير الأحوال الروحية نتيجة لتعدد الصفات الإلهية، والتمكين: ثبات الروح في حضرة الجنب الإلهي على الرغم من تلون النفس، وأرباب التمكين تجاوزوا تلوينات القلوب، ووصلوا إلى مباشرة نور الذات الإلهية بأرواحهم، والتمكين الحقيقي ليس معناه أن العبد لا يتغير أبداً؛ فهو بشر، بل يعني أن ما كوشف له من الحق لا يزول ولا يتناقض، بل يزداد وضوحاً، أما صاحب التلوين فقط، فقد ينقص حاله عند ظهور آثار صفاته النفسية.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «التلوين وهو لأرباب القلوب، فإنه يظهر لهم بحسب تعدد الصفات تلوينات، فإنهم من نفحات الصفات الجلالية ذابوا، ومن الجمالية طابوا، وأرباب التمكين خرقوا حُجُب القلوب، وباشروا بأرواحهم سطوع نور الذات، فارتفع التلوين لعدم التغير في الذات، والتلوين حينئذ لنفوسهم؛ لأنها في محل القلوب، وهذا التلوين لا يُخرج صاحبه عن التمكين؛ إذ هو للروح، ولا يراد بالتمكين أن يكون للعبد تغير، فإنه بشر، بل يراد به أن ما كوشف له لا يتوارى عنه أبداً ولا يتناقض، بل يزيد، فصاحب التلوين قد ينقص له عند ظهور صفات نفسه»<sup>١</sup>.

وعوارف المعارف، لشهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (ت ٦٣٢هـ): ج ٢ ص ٣١٢ - ٣١٤.

١ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٤٥، وللتفصيل حول هذا الحال يراجع: الرسالة القشيرية في علم التصوف، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري: ج ١ ص ١٨٩، ولطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، لعبد الرزاق القاشاني: ج ١ ص ٣٤٦-٣٥٠، ومعراج التشوف إلى حقائق التصوف، للشيخ عبد الله أحمد بن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ): ص ٧٠، ومعجم ألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوي: ص ٨٧، ٨٨.



وصفوة القول فيما سبق: إن صدر الشريعة المحبوبي لم يقدّم وصفاً نظرياً فقط، بل قدّم تحليلاً دقيقاً لحركة السالكين في باطنهم بين الانجذاب الروحي وتقلب النفس، مراعيًا التدرج في محطات السلوك الروحي، والتميز بين أهل القلوب وأهل الأرواح، مما يُظهر عمق تجربته الصوفية وتكامل منظومته في ربط الأحوال بالمقامات والمراحل النفسية والروحية.

وصية صدر الشريعة المحبوبي للسالكين:

حرص صدر الشريعة المحبوبي في كلمته الأخيرة بعد العروج على مقامات العارفين أن تكون دلالة على طريق العارفين، وإن لم يكن من أهل الفعل الكامل، فهو يُوجّه الخطاب إلى السالكين والمسترشدين للتشهير عن ساعد الجد، وعدم التقصير في السير إلى الله، خاصة في زمن الفتن، وتكاثر الحُجب.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «وهذا الذي ذكرنا شمة من مقامات العارفين ذكرناها تشويقاً للطالبيين، وتنبيهاً للمسترشدين لأكون بالدلالة على الخير كفاعله، فلا ينبغي لأحد أن يعرج، أي: يُقصر في العروج على المعارج، فإن الحُجب ترقُّ في آخر الزمان»<sup>١</sup>.

ويربط صدر الشريعة بين الزمن، والحال الروحي، وثقل العمل الصالح، لا سيما في الأزمنة المتأخرة.

يقول صدر الشريعة المحبوبي: «فإذا صارت الأرواح قريبة من القيام تصير أصفى وأرق، فلهذا كان خاتم الأنبياء أفضل جميع الأنبياء عليهم السلام...، وهذا بسببين أحدهما: ما ذكر، والثاني: أن عمل الخير في زمان النبي - ﷺ - كان أيسر، وفي هذا الزمان، وهو زمان تلاطم أمواج الشر والفساد عمل الخير أشق وأعجب وأغرب»<sup>٢</sup>.

فصدر الشريعة المحبوبي يُبرز منزلة العمل الصالح في آخر الزمان، فاقتراب يوم القيامة يُصفي الأرواح ويجعلها أكثر رقة، كما أن العمل الصالح يُصبح أصعب وأكثر مشقة، لكنه في الوقت نفسه أقل وقوعاً وأعظم أجراً.

١ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٤٥.

٢ المصدر السابق: ص ٦٤٥، ٦٤٦.

ودفعاً لئلا يتوهم أحد أن هذا مُشعر بتفضيل زماننا على زمن النبوة يقول صدر الشريعة لنفي هذا التوهم: «إنه لا شك أن خير القرون قرن النبي - ﷺ -، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسحوا الكذب، كما نطق به الحديث<sup>١</sup>، فالذي ذكرنا لا يُراد به تفضيل القرون الآخر على تلك القرون، بل يُراد أن عمل الخير في القرون التي يغلب فيها الشر، كثير النفع والثواب، رزقنا الله تعالى نيل مرضاته»<sup>٢</sup>.

فيفهم من هذا أنه لا يفضل الزمان المتأخر على زمن النبوة، بل يُبين أن الفضل في الزمان الأول للعمل، وفي الزمان الأخير للأجر العظيم في وسط الفتن العصبية.

أسأل الله الكريم في عليائه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجعله موفقاً مقبولاً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

١ المؤلف يشير إلى ما أخرجه الحاكم في مستدركه كتاب العلم ج١ ص١٩٧ حديث رقم: ٣٨٧ من حديث ابن عمر قال: {خطبنا عمر بالجابية، فقال: إني قمت فيكم كمقام رسول الله - ﷺ - فينا، فقال: أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسحوا الكذب... الحديث}، وقال الحاكم عقبه هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه.

٢ شرح تعديل العلوم (تعديل مباحث علم الكلام)، لصدر الشريعة المحبوبي: ص ٦٤٦.

## الخاتمة:

### النتائج والتوصيات

أهم النتائج المستخلصة من البحث:

- بعد هذه الرحلة العلمية مع الاتجاه الصوفي عند صدر الشريعة المحبوبي يطيب لي أن أسجل على هذه الدراسة بعضاً من النتائج على النحو التالي: -
- ظهر جلياً من خلال البحث أن صدر الشريعة المحبوبي شخصية موسوعية جمعت بين علوم الأصول والمنطق والكلام، وامتدت إلى الفقه والتصوف، مما جعله من أبرز أعلام الفكر الإسلامي.
- أعاد المحبوبي ترتيب العلوم العقلية على نسق منهجي فريد، حيث بَوَّب كتابه «شرح تعديل العلوم» وفقاً لترتيب فاتحة الكتاب، جامعاً بين الحكمة النظرية والعملية، ومُبرِّراً للتكامل بين العقيدة والسلوك.
- الرؤية الصوفية عند صدر الشريعة المحبوبي متوازنة ونقدية؛ فقد فرَّق بين التصوف السني المحقق، الذي يقوم على التزكية والمعرفة الشرعية، وبين تصوف الغلاة والحشوية الذي يفتقر إلى الضوابط العقلية والشرعية.
- اعتبر صدر الشريعة التصوف الذي يهتم بتجليات الذات والصفات الإلهية، ويقود إلى السير إلى الله تعالى بطريق القلب والعقل معاً من أشرف العلوم وأفضلها.
- يمثل مشروع صدر الشريعة محاولة مبتكرة لدمج البعد الروحي في البناء الكلامي، وهو ما يدل على وعيه وبصيرته بضرورة الربط بين الإيمان العقلي والتجربة الوجدانية.
- إن التجلي لا يكون إلا للروح بعد أن تمر بمقامات الإيمان وتزكية النفس، ويمر عبر مراتب: العقل، والصدر، والقلب، والسر، ثم الروح.
- الوصول إلى التجلي مشروط بأداء العبادات الظاهرة، وتطهير الباطن بالتوبة والإنابة، مما يربط الذوق الصوفي بالسلوك العملي.
- سلك صدر الشريعة المحبوبي منهجاً صوفياً مُميّزاً في تربية النفس والسلوك إلى الله؛ حيث أكد على أن ترقية النفس لا تتم ذاتياً، بل بتحريك روعي تابع من نفحة العناية الإلهية، مما يزرع فيها الشوق

- 
- إلى المقام الأعلى، وهو مقام الاطمئنان بالله
- أكد صدر الشريعة على أن الإخلاص هو المعيار الأول في مجاهدة الخواطر.
  - أن السير إلى الله تعالى لا يكتمل دون شيخ بصير، يميز للمريد بين الخواطر والتجليات، ويكون واسطة بينه وبين عالم الغيب.
- التوصيات:
- يوصي الباحث من خلال هذا الموضوع ببعض التوصيات، والتي تتمثل في التالي: -
- تسليط الضوء على الشخصيات التي لم تحظ بالاهتمام الكافي لمعرفة أبعادها الصوفية والفكرية.
  - دعوة الباحثين إلى الربط بين التصوف وعلم الكلام، لا سيما عند العلماء الذين جمعوا بين التخصصين، كما هو الحال عند صدر الشريعة المحبوبي.
  - التركيز على البعد التربوي والأخلاقي في الفكر الصوفي عند علماء الفكر الإسلامي، وإبراز أثره في تكوين الشخصية الإسلامية المتوازنة.
  - الاستفادة من الاتجاه الصوفي عند المحبوبي في قراءة الواقع المعاصر، خصوصاً في ظل الحاجة إلى ترسيخ قيم الزهد، والتسامح، والإخلاص، والبعد عن الماديات.

## ثَبَّتَ المصادر والمراجع باللغة العربية:

- إحياء علوم الدين، لأبي جامد الغزالي: دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ).
- أصول السرخسي، لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٨٣هـ)، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني: الناشر: لجنة إحياء المعارف النعمانية الهند (بدون تاريخ).
- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي (ت ١٣٩٦هـ): ط ٥، دار العلم للملايين، بيروت (٢٠٠٢م).
- الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، للشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي (ت ٨٠٥هـ)، تحقيق: صلاح محمد عويضة: ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٨هـ = ١٩٩٧م).
- إيقاظ الهمم في شرح الحكم، لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ)، تقديم ومراجعة: محمد أحمد حسب الله: دار المعارف، القاهرة (١٤٠٤هـ = ١٩٨٣م).
- تاج التراجم، لأبي الفداء زين الدين قاسم بن قُطُوبُغا الحنفي (ت ٨٧٩هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف: ط ١، دار القلم، سوريا (١٤١٣هـ = ١٩٩٢م).
- التأويلات النجمية في التفسير الإشاري الصوفي، لنجم الدين الكبرى أحمد بن عمر بن محمد (ت ٦١٨هـ): ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٤م).
- التعرف لمذهب أهل التصوف، لأبي بكر محمد بن إسحاق الكلاباذي (ت ٣٨٠هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين: ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٣هـ = ١٩٩٣م).
- التوضيح في حل غوامض التنقيح، لصدر الشريعة المحبوبي ضمن كتاب التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه لسعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني: مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر - القاهرة (١٣٧٧هـ = ١٩٥٧م).

- الجواهر المضية فى طبقات الحنفية، لمحيي الدين أبو محمد عبد القادر  
أبى الوفاء القرشي الحنفي (ت ٧٧٥ هـ) تحقيق: د. عبد الفتاح محمد  
الخلو: ط ٢، دار هجر للطباعة والنشر، القاهرة (١٤١٣ هـ = ١٩٩٣).
- خلق الإنسان، لأبى الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين (ت ٤٩٥ هـ):  
ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون تاريخ).
- الدرر الجوهريّة في شرح الحكم العطائية، للشيخ: عبد الرؤف المناوي  
(ت ١٠٣١ هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي: ط ١، دار الكتب العلمية،  
بيروت (٢٠٢١ م).
- الرسالة القشيرية في علم التصوف، لأبى القاسم عبد الكريم بن هوازن  
القشيري (ت ٤٦٥ هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن  
الشريف: دار المعارف، القاهرة (بدون تاريخ).
- رسالة في شرح البراهين القائمة على إبطال التسلسل وإثبات تناهي الأبعاد،  
للشيخ عبد اللطيف بن عبد الله الرازي الأسكداري (ت ١١٤٦ هـ)، مخطوط  
بمكتبة عاشر أفندي بتركيا.
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لحاجي خليفة مصطفى بن عبد الله  
القسطنطيني العثماني (ت ١٠٦٧ هـ) تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط:  
الناشر: مكتبة إرسىكا، تركيا (٢٠١٠ م).
- شرح التلويح على التوضيح لمتن التنقيح في أصول الفقه، لسعد الدين  
مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩٢ هـ)، تحقيق: زكريا عميرات: ط ١، دار  
الكتب العلمية، بيروت (١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م).
- شرح الوقاية، لصدر الشريعة المحبوبي (ت ٧٤٧ هـ)، تحقيق: صلاح محمد  
أبو الحاج: ط ١، دار الوراق، الأردن (٢٠٠٦ م).
- شرح تعديل العلوم، لصدر الشريعة المحبوبي (تعديل الميزان)، تحقيق: أكرم  
محمد إسماعيل: ط ١، دار النور المبين للنشر والتوزيع، الأردن (٢٠٢٢ م).
- شرح تعديل العلوم، لصدر الشريعة المحبوبي، تحقيق: د. محمود آي،  
ومصطفى برص بوغا، ط ١، رئاسة الشؤون الدينية، تركيا (٢٠٠٧ م).
- شرح منازل السائرين للشيخ عبد الله الأنصاري الهروي (ت ٤٨١ هـ)، تأليف  
الشيخ: زين الدين محمد عبد الرؤف المناوي (ت ١٠٣١ هـ)، تحقيق: د.

- 
- عاصم إبراهيم الكيالي: دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٣م).
  - شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م).
  - صحيح البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا: ط٥، دار ابن كثير، سوريا (١٤١٤ هـ = ١٩٩٣ م).
  - صحيح مسلم، تحقيق: أحمد رفعت عثمان حلمي القره حصارى، ومحمد عزت عثمان الزعفران بوليوي، ومحمد شكري حسن الأنقروي: الناشر: دار الطباعة العامة، تركيا (١٣٣٤ هـ).
  - عرائس البيان في حقائق القرآن، لصدر الدين أبي محمد روزبهان بن أبي نصر البقلي (ت ٦٠٦ هـ)، تحقيق الشيخ: أحمد فريد المزيدي: دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٩ هـ = ٢٠٠٨ م).
  - عقد الجمان في بيان شعب الإيمان، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ)، تحقيق: نظام محمد صالح يعقوبي، ط١، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (١٤٢١ هـ = ٢٠٠٠ م).
  - عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للإمام بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ)، تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢١ هـ = ٢٠٠١ م).
  - عوارف المعارف، لشهاب الدين أبي حفص عمر السهروردي (٦٣٢ هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف: دار المعارف، القاهرة (بدون تاريخ).
  - الغنية لطالبي طريق الحق - عزوجل -، للشيخ عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني (ت ٥٦١ هـ)، تحقيق: صلاح محمد عويضة: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٧ هـ = ١٩٩٧ م).
  - غيث المواهب العلية في شرح الحكم العطائية، لأبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد النفري (ت ٧٩٢ هـ)، تحقيق: عبد الله سليم المختار: دار الكتب العلمية، بيروت (بدون تاريخ).

- فتح الباري بشرح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومُحب الدين الخطيب: ط ١، دار المعرفة، القاهرة (١٣٩٠هـ).
- فتح باب العناية بشرح النقاية، لنور الدين أبو الحسن علي بن سلطان محمد الهروي القاري (ت ١٠١٤هـ)، تحقيق: محمد نزار تميم، هيثم نزار تميم: ط ١، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت (١٤١٨هـ = ١٩٩٧م).
- الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية، لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني (ت ١٢٢٤هـ)، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود: عالم الفكر، القاهرة (بدون تاريخ).
- الفتوحات القدسية في شرح قصيدة في حال السلوك عند الصوفية المسماة بالقصيدة النقشبندية، للشيخ أبي بكر بناني (ت ١٢٤٨هـ)، تحقيق: عبد الرحمان الحداوي، وإسماعيل بن عبد الرحمان المساوي: ط ١، كتاب ناشرون، بيروت (١٤٣٢هـ = ٢٠١١م).
- الفكر الكلامي الصوفي، لمارتن نوين، ضمن كتاب: المرجع في تاريخ علم الكلام، تحرير: زابينة شميته، ترجمة: د. أسامه شفيع السيد، تقديم: د. حسن الشافعي: ط ١، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت (٢٠١٨م).
- فوائج الجمال وفوائح الجلال، لأبي الجناح نجم الدين الكبرى محمد بن أحمد الخوارزمي (ت ٦١٨هـ)، تحقيق: د. يوسف زيدان: ط ١، دار سعاد الصباح، القاهرة (١٩٩٣م).
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، لأبي الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ت ١٣٠٤هـ)، تحقيق: محمد بدر الدين الحلبي: ط ١، مطبعة السعادة، القاهرة (١٣٢٤هـ).
- الفيض الوارد شرح مرثية مولانا خالد النقشبندي، لشهاب الدين محمود بن عبدالله الألوسي النقشبندي (١٢٧٠هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد فريد المزيدي: ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٠م).
- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لأبي طالب المكي محمد بن علي بن عطية (ت ٣٨٦هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي: ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).



- كشف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي محمد بن علي الفاروقي (ت ١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج: ط ١، مكتبة لبنان، بيروت (١٩٩٦م).
- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، لعلاء الدين عبد العزيز أحمد بن محمد البخاري (ت ٧٣٠هـ): ط ١، مطبعة سنده، الناشر: شركة الصحافة العثمانية، استانبول (١٣٠٨هـ = ١٨٩٠م).
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى عبد الله القسطنطيني المعروف بحاجي خليفة (١٠٦٧هـ) تحقيق: إكمال الدين إحسان أوغلي، وبشار عواد معروف وآخرين: ط ١، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي - مركز دراسات المخطوطات الإسلامية، إنجلترا (١٤٤٣هـ = ٢٠٢١م).
- كشف المحجوب، لأبي الحسن علي بن عثمان الهجويري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إسعاد عبد الهادي قنديل، تقديم: بديع جمعة: ط ١، المجلس الأعلى للثقافة، الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، القاهرة (٢٠٠٧م).
- الكلام المتين في تحرير البراهين، تحقيق: علي ناجح الأمين: ط ١، دار الفتح للدراسات والنشر، الأردن (١٤٤٤هـ = ٢٠٢٣م).
- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء الكفوي أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت ١٠٩٤هـ)، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري: مؤسسة الرسالة، بيروت (بدون تاريخ).
- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني: ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (بدون تاريخ).
- لطائف الأعلام في إشارات أهل الإلهام، لعبد الرازق القاشاني (ت ٧٣٦هـ)، تحقيق: سعيد عبد الفتاح: ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (٢٠٠٨م).
- اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي، لأبي نصر عبد الله بن علي السراج الطوسي (ت ٣٧٨هـ)، تحقيق: كامل مصطفى الهنداوي: دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٦م).
- مختصر شعب الإيمان للبيهقي، لأبي القاسم الكرخي عمر بن عبد الرحمن بن عمر بن أحمد، التميمي القزويني الشافعي (ت ٦٩٩هـ)، تحقيق: عبد

- القادر الأرنؤوط، ط٢، دار ابن كثير، دمشق (١٤٠٥هـ).
- المستدرک علی الصحیحین، لأبی عبد الله محمد بن عبد الله الحاکم النیسابوری (ت ٤٠٥هـ)، تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا: ط١، دار الكتب العلمية، بیروت (١٤١١هـ = ١٩٩٠م).
- مشکاة الأنوار، لأبی حامد محمد بن محمد الغزالی الطوسی (ت ٥٠٥هـ)، تحقیق: د. أبو العلا عفیفي: الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة (بدون تاریخ)
- معجم ألفاظ الصوفية، د. حسن الشرقاوي: ط١، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة (١٩٨٧م).
- معراج التشوف إلى حقائق التصوف، للشيخ عبد الله أحمد بن عجيبة (ت ١٢٢٤هـ)، تحقیق: د. عبد المجید خیالی: مرکز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب (بدون تاریخ).
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده: ط١، دار الكتب العلمية، بیروت (١٤٠٥هـ = ١٩٨٥م).
- ملحق (٣) معتقد ابن خفيف، ضمن كتاب اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، للشيخ أبي الحسن الأشعري، تحقیق وتحشية: د. حسن الشافعي، تقديم: د. أحمد الطيب: ط٢، مجلس حکماء المسلمين، الإمارات العربية المتحدة (١٤٤٣هـ = ٢٠٢٢م).
- المنقذ من الضلال مع أبحاث في التصوف ودراسات عن الإمام الغزالي، د. عبد الحليم محمود: ط١، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة (٢٠٠٣م).
- المنهاج في شعب الإيمان، لأبی عبد الله الحليمي الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني (ت ٤٠٣هـ)، تحقیق: حلمي محمد فودة، ط١، دار الفكر (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م).
- نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، للشيخ زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ)، تحقیق: عبد الوارث محمد علي: ط٢، دار الكتب العلمية، بیروت (١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م).
- نصيحة المرید في طریق أهل السلوك والتجريد، للشيخ علي بن عبد

---

الرحمن الجمل (ت١١٩٣هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي: ط١، دار  
الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).

## ثَبَّتَ الْمَصَادِرَ وَالْمَرَاجِعَ بِاللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ الْلَاتِينِيَّةِ:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatyny:

- •'iihya' eulum aldiyn, li'abi jamid alghazalii: dar almaerifati, bayrut (bdun tarikhin).
- • 'usul alsarkhisi, li'abi bakr muhamad bin 'ahmad bin 'abi sahl alsarukhsiu (t 483hi), tahqiqu: 'abu alwfa al'afghani:alnaashiru: lajnat 'iihya' almaearif alnuemaniat alhind (bdun tarikhin).
- •al'aealami, likhayr aldiyn bin mahmud bin muhamad bin ealii bin faris, alziriklii (t 1396hi): ta5, dar aleilm lilmalayini, bayrut (2002ma).
- •al'iinsan alkamil fi maerifat al'awakhir wal'awayila, lilshaykh eabd alkarim bin 'iibrahim aljilii (t805ha), tahqiqu: salah muhamad euayaduhi: ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (1418h = 1997ma).
- •'iiqaz alhimam fi sharh alhikmi, li'ahmad bn muhamad bn eajibat alhasnii (t1224ha), taqdim wamurajaeatu: muhamad 'ahmad hasab allahi: dar almaearifi, alqahira (1404h = 1983mi).
- •taj altarajim, li'abi alfida' zayn aldiyn qasim bin qutlubugha alhanafii (t 879hi), tahqiqu: muhamad khayr ramadan yusif: ta1, dar alqalami, suria (1413h =1992ma).
- •altawilat alnajmiat fi altafsir al'iisharii alsuwfii, linajm aldiyn alkubraa 'ahmad bin eumar bin muhamad

(t618h): ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (2014mi).

- •altaearuf limadhab 'ahl altasawufi, li'abi bakr muhamad bn 'ishaq alklabadhii (t380ha), tahqiqu: 'ahmad shams aldiyni: ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (1413h = 1993mi).
- •altawdih fi hali ghawamid altanqihi, lisadr alsharieat almahbubii dimn kitab altalwih ealaa altawdih limatn altanqih fi 'usul alfiqh lisaed aldiyn maseud bn eumar altaftazani: matbaeat muhamad eali subayh wa'awladuh bial'azhar – alqahira (1377h = 1957mi).
- •aljawahir almadiat faa tabaqat alhanafiati, limuhyi aldiyn 'abu muhamad eabd alqadir 'abaa alwafa' alqurashia alhanafii (ta775 hu) tahqiqu: da. eabd alfataah muhamad alhalu: ta2, dar hajr liltibaeat walnashri, alqahira (1413 hi = 1993).
- •khalaq al'iinsani, li'abi alhasan saeid bn hibat allah bin alhusayn (t495ha): ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (bdun tarikhin).
- •aldarar aljawhariat fi sharh alhikm aleatayiyati, lilshaykhi: eabd alruwuf almnnawy (t1031hi), tahqiqu: du. easim 'iibrahim alkayali: ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (2021ma).
- •alrisalat alqushayriat fi eilm altasawufi, li'abi alqasim eabd alkarim bin hawazin alqushayrii (t465h), tahqiqu: da. eabd alhalim mahmud, du. mahmud bin alsharif: dar almaearifi, alqahira (bidun tarikhin).

- •risalat fi sharh albarahin alqayimat ealaa 'iibtal altasalsul wa'iithbat tanahi al'abeadi, lilshaykh eabd allatif bin eabd allah alraazii al'askadarii (t1146h), makhtut bimaktabat eashir 'afandi biturkia.
- •slam alwusul 'iilaa tabaqat alfuhula, lihaji khalifat mustafaa bin eabd allh alqistantinii aleuthmanii (t1067hi) tahqiqu: mahmud eabd alqadir al'arnawuwta:alnaashir: maktabat 'iirsika, turkia (2010mi).
- •sharah altalwih ealaa altawdih lamatn altanqih fi 'usul alfiqah, lisaed aldiyn maseud bn eumar altiftazani (t 792 ha), tahqiqu: zakariaa eumayrat: ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (1416h = 1996ma).
- •sharh alwiqayati, lisadr alsharieat almahbubii (t747ha), tahqiqu: salah muhamad 'abu alhaji: ta1, dar alwaraqi, al'urduni (2006ma).
- •sharh taedil aleulumi, lisadr alsharieat almahbubii (taedil almizani), tahqiqu: 'akram muhamad 'iismaeil: ta1, dar alnuwr almubin lilnashr waltawziei, al'urduni (2022ma).
- •sharh taedil aleulumi, lisadr alsharieat almahbubi, tahqiq du. mahmud ay, wamustafaa biras bugha, ta1, riasat alshuyuwn aldiyniati, turkia (2007mi).
- •shrh manazil alsaayirin lilshaykh eabd allah al'ansarii alharawii (t481h), talif alshaykhi: zayn aldiyn muhamad eabd alruwuf alminawi (t1031ha), tahqiqu:

du. easim 'iibrahim alkayali: dar alkutub aleilmiati, bayrut (2013ma).

- •shaeb al'iimani, li'abi bakr 'ahmad bin alhusayn albayhaqii (458 ha), tahqiqu: muhamad alsaeid bn basyuni zighlula: ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (1421h = 2000ma).
- •shih albukhari, tahqiqu: du. mustafaa dib albugha: ta5, dar abn kathiri, suria (1414h = 1993mi).
- •shih muslm, tahqiqu: 'ahmad rifaeat euthman hilmi alqarah hisari, wamuhamad eizat euthman alzaefaran buliui, wamuhamad shukri hasan al'anqarui:alnaashir: dar altibaeat aleamirata, turkia (1334h).
- •earayis albayan fi haqayiq alqurani, lisadr aldiyn 'abi muhamad ruzibhan bin 'abi nasr albaqlii (t606ha), tahqiq alshaykhi: 'ahmad farid almazidi: dar alkutub aleilmiati, bayrut (1429h = 2008ma).
- •eaqid aljuman fi bayan shaeb al'iimani, Imhmmd bin mhmmd bin eabd alrzzaq alhusayni, 'abu alfayda, almlqqb bimurtadaa, alzzabydy (t1205h), tahqiqu: nizam muhamad salih yaequbi, ta1, dar albashayir al'iislamiat liltibaeat walnashr waltawzie, bayrut (1421h = 2000m).
- •eumdat alqariy sharh sahih albukhari, lil'iimam badr aldiyn 'abu muhamad mahmud bin 'ahmad aleaynaa (t855ha), tahqiqu: eabd allah mahmud muhamad eumr: ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (1421h =

2001ma).

- •eawarif almaearifi, lishihab aldiyn 'abi hafs eumr alsuhrwrdy(632h), tahqiqu: da. eabd alhalim mahmud, du. mahmud bin alsharif: dar almaearifi, alqahira (bidun tarikhin).
- •alghaniyat litalibi tariq alhaqi – euzujal –, lilshiyh eabd alqadir bin 'abi salih aljilani (t561ha), tahqiqu: salah muhamad euaydat: ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (1417h = 1997ma).
- •ghith almawahib alealiyat fi sharh alhukm aleatayiyati, li'abi eabd allah muhamad bin 'iibrahim bin eabaad alnafarii (t792hi), tahqiqu: eabd allah salim almukhtar: dar alkutub aleilmiati, bayrut (bdun tarikhin).
- •fatah albari bisharh albukhari, li'ahmad bn ealiin bn hajar aleasqalanii (t852ha), tahqiqu: muhamad fuaad eabd albaqi, wmuhb aldiyn alkhatibi: ta1, dar almaerifati, alqahira (1390h).
- •fatah bab aleinayat bisharh alnaqayati, linur aldiyn 'abu alhasan eali bin sultan muhamad alharawii alqariyi (t1014ha), tahqiqu: muhamad nizar timim, haytham nizar tamim: ta1, dar al'arqam bin 'abi al'arqamu, bayrut (1418h = 1997ma).
- •alfutuhah al'ilahiat sharh almabahith al'asliati, li'ahmad bin muhamad bn eajibat alhusnii (t1224hi), tahqiqu: eabd alrahman hasan mahmud: ealam alfikri,



alqahira (bidun tarikhin).

- •alfutuhāt alqudsiāt fi sharh qasidat fi hal alsuluk eind alsuwfiāt almusamaat bialqasidat alnaqshabandiati, lilshaykh 'abī bakr banani (t1248h), tahqīqu: eabd alrahman alhadaawi, wa'iismaeil bin eabd alrahman almasawi: ta1, kitab nashiruna, bayrut (1432h = 2011ma).
- •alfikr alkaalami alsuwfii, limartin nuyin, dimn kitabi: almarjie fi tarikh ealm alkaalami, tahriru: zabinat shimytikahi, tarjamatun: du. 'asamah shafie alsayidi, taqdimu: du. hasan alshaafieay: ta1, markaz nama' lilbuhuth waldirasati, bayrut (2018m).
- •fawayih aljamal wafawatih aljalali, li'abi aljanab najm aldiyn alkuabraa muhamad bin 'ahmad alkhawarazmii (t618h), tahqīqu: du. yusif zidan: ta1, dar suead alsabahi, alqahira (1993mi).
- •alfawayid albahiat fi tarajim alhanafiati, li'abi alhasanat muhamad eabd alhayi allaknawi (t1304ha), tahqīqu: muhamad badr aldiyn alhalbi: ta1, matbaeat alsaeadati, alqahira (1324h).
- •alfayd alwarid sharh marthiat mawlana khalid alnaqshabandi, lishihab aldiyn mahmud bin eabdallah al'alusii alnaqshabandii (1270h), tahqīqa: alshaykh 'ahmad farid almazidi: ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (2010m).
- •qut alqulub fi mueamalat almahbub wawasf tariq

almurid 'iilaa maqam altawhidi, li'abi talib almakiyi muhamad bin ealii bin eatia (t386ha), tahqiqu: du. easim 'iibrahim alkayali: ta2, dar alkutub aleilmiati, bayrut (1426h = 2005m).

- •kshaf astilahat alfunun waleulumi, liltahanwii muhamad bin ealiin alfaruqii (t 1158hi), tahqiqu: da. eali dahruji: ta1, maktabat lubnan, bayrut (1996ma).
- •kashf al'asrar ean 'usul fakhr al'iislam albizdiwi, lieala' aldiyn eabd aleaziz 'ahmad bin muhamad albukharii (t730ha): ta1, matbaeat sanadih,alnaashir: sharikat alsahafat aleuthmaniat, astanbul (1308h = 1890ma).
- •kashf alzunun ean 'asamay alkutub walfununa, limustafaa eabd allah alqistantinii almaeruf bihaji khalifa (1067hi) tahqiqu: 'iikmal aldiyn 'ihsan 'uwghli, wabashaar eawad maeruf wakhrayn: ta1, muasasat alfurqan lilturath al'iislamii – markaz dirasat almakhtutat al'iislamiati, 'iinjiltira (1443h = 2021mu).
- •kashf almahjuba, li'abi alhasan eali bin euthman alhajwayrii (t 465hi), tahqiqu: 'iisead eabd alhadi qandil, taqdim: badie jumeat: ta1, almajlis al'aelaa lilthaqafati, alhayyat aleamat lidar alkutub walwathayiq alqawmiati, alqahira (2007mu)
- •alkalam almatin fi tahrir albarahin, tahqiqu: ealiu najih al'amini: ta1, dar alfath lildirasat walnashri, al'urduni (1444h = 2023m) .

- **•alkuliyaat muejam fi almustalahat walfuruq allughawiati, li'abi albaqa' alkafawi 'ayuwb bin musaa alhusaynii alqarimii (t 1094hi), tahqiqu: eadnan darwish, wamuhamad almasri: muasasat alrisalati, bayrut (bdun tarikhin).**
- **•latayif al'iisharat = tafsir alqushiri, lieabd alkarim bin hawazin bin eabd almalik alqushayri(t465ha), tahqiqu: 'iibrahim albisyuni: ta3, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, alqahira (bidun tarikhin).**
- **• litayif al'aelam fi 'iisharat 'ahl al'iilham, lieabd alraaziq alqashanii(ti736h), tahqiqu: saeid eabd alfataahi: ta3, alhayyat almisriat aleamat lilkitabi, alqahira (2008mi).**
- **•allamae fi tarikh altasawuf al'iislamii, li'abi nasr eabd allh bn ealii alsaraaj altuwsii (t378hi) , tahqiqu: kamil mustafaa alhandawii: dar alkutub aleilmiati, bayrut (2016mi).**
- **•mukhtasar shaeb al'iiman lilbihaqi, li'abi alqasim alkarkhii eumar bin eabd alrahman bin eumar bin 'ahmadu, altamimii alqazwinii alshafey (t699ha), tahqiqu: eabd alqadir al'arnawuwta, ta2, dar abn kathir, dimashq (1405h).**
- **•alimustadrak ealaa alsahihayni, li'abi eabd allah muhamad bin eabd allah alhakim alnaysaburii (t 405hi), tahqiqu: mustafaa eabd alqadir eataa: ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (1411h = 1990m).**

- **•mushkat al'anwar, li'abi hamid muhamad bin muhamad alghazalii altuwsii (t 505hi), tahqiqu: du. 'abu aleula eafifi: aldaar alqawmiat liltibaeat walnashri, alqahira (bidun tarikhi)**
- **•muejam 'alfaz alsuwfiati, du. hasan alsharqawi: ta1, muasasat mukhtar llnashr waltawzie, alqahira (1987mi).**
- **•mieraj alttshuf 'iilaa haqayiq altasawuf, lilshaykh eabd allah 'ahmad bin eajiba (t1224h), tahqiqu: da. eabd almajid khayali: markaz alturath althaqafii almaghribi, aldaar albayda'u, almaghrib (bidun tarikhin).**
- **•miftah alsaeadat wamisbah alsiyadat fi mawdueat aleulumi, litash kubraa zadahu: ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (1405h = 1985m).**
- **•malhaq (3) muetaqad aibn khafifa, dimn kitab allamae fi alradi ealaa 'ahl alziygh walbidae, lilshaykh 'abi alhasan al'asheari, tahqiq watahshiatu: du. hasan alshaafieay, taqdimu: du. 'ahmad altayib: ta2, majlis hukama' almuslimina, al'iimarat alearabiat almutahida (1443h = 2022ma).**
- **•almunqidh min aldalal mae 'abhath fi altasawuf wadirasat ean al'iimam alghazalii, da. eabd alhalim mahmud: ta1, dar aljil liltabe walnashr waltawzie, alqahira (2003mi).**
- **•alminhaj fi shaeb al'iimani, li'abi eabd allh alhalimy alhusayn bin alhasan bin muhamad bin halim**

albukharii aljirjanii (t403ha), tahqiqu: hilmi muhamad fudata, ta1, dar alfikr (1399h = 1979mi).

- •natayij al'afkar alqudusiat fi bayan maeani sharh alrisalat alqushiriati, lilshaykh zakariaa bin muhamad al'ansarii (t926ha), tahqiqu: eabd alwarith muhamad ealay: ta2, dar alkutub aleilmiati, bayrut (1428h = 2007m)
- •nasihat almurid fi tariq 'ahl alsuluk waltajridi, lilshaykh ealii bin eabd alrahman aljamal (t1193ha), tahqiqu: du. easim 'iibrahim alkayali: ta1, dar alkutub aleilmiati, bayrut (1426h = 1005ma).

٤١٠

---